

الفصل الرابع والأربعون

مجمل الحالة السياسية في جزيرة العرب عند ظهور الاسلام

استعرضنا في الفصول المتقدمة من هذا الكتاب حالة العرب السياسية قبل الاسلام على قدر ما أدت اليه بحثنا ، وساعتنا عليه الموارد . أما في هذا الفصل وهو خاتمة فصول القسم السياسي ، فنستعرض حالة العرب السياسية في القرن السادس للميلاد بوجه عام .

والقرن السادس للميلاد ، فترة من الفترات المهمة في تاريخ البشرية ، فيه ظهرت أمارات الشيخوخة على الانباطورية الساسانية التي شيدها (أردشير الأول) على أثر الثورة التي اندلعت عام (٢٢٤ م) أو (٢٢٦ م) ، ثم لم تلبث ان انهارت في القرن السابع للميلاد بسرعة عجيبة ، وبأيد لم يحسب لوجودها حساب ، ومن مكان لم يكن له قبل ظهور الاسلام أثر ما فعال في السياسة العالمية . وفي هذا القرن أيضاً برزت الأمراض العديدة التي آلت بالقيصرية ، والأملاك التي كانت خاضعة لها ، وهي أمراض لم تنج منها إلا بئير بعض أطرافها في القرن التالي له . فخرجت من ردهة العمليات تثن من فاجعة الألم الذي حل بها ، ومن هول ما أصيبت به بذلك البئر .

وفي النصف الثاني من هذا القرن وُلد الرسول ، وبميلاد الرسول ظهر حدث تأريخي خطير للبشرية في النصف الأول من القرن السابع للميلاد ، يكفي ان أثره

قائم حتى الآن ، وانه سيقوم الى ما شاء الله ، وانه أوجد مفاهيم خلقية جديدة للبشرية ، وانه بشر برسالة قائمة على ان الدين لله ، وان الناس أمامه سواء ، لا فرق بين فرد وآخر وجنس وجنس ، ولا تمييز للون على آخر ، ثم لم يلبث ان انتشر بسرعة عجيبة لم ينتشر بمثلها دين من الأديان ، ففضى على إحدى الإمبراطوريتين العظيمتين في عالم ذلك العهد ، واستأصل الأعضاء الثمينة من الإمبراطورية الأخرى ، وأوجد من أشنات سكان جزيرة العرب أمة ، ومن قبائلها المتنازعة حكومة ذات سلطان ، وفاض على سداد الجزيرة ، وسقى ما وراءها من أرضين ، ثم وحد بين أقوام عديدين وجمعهم في صعيد دين الله .

وقد ابتلي هذا اقرن والنصف الأول من القرن التالي له بأوبئة وبآفات وبمجاجات زادت في مشكلاته الكثيرة التي ورثها من القرون السابقة له ، ففيه انتشرت أوبئة ابتلعت بضع مئات من البشر في كل يوم من أيام انتشارها ، كانت كالعواصف تنتقل من مكان الى مكان مكتسحة من تجده أمامها من مساكن ، وتعود بين الحين والحين لتبتلع ما يسد حاجتها من البشر والحيوانات . وفيه مني العالم بزلازل وبنقص كبير في الغلات أوجد قحطاً وبمجاعةً وفقراً في كثير من الأقطار ، حتى اضطر كثير من الناس الى هجر الأماكن المنكوبة والارتحال عنها الى أماكن أخرى فيها النجاة والسلامة .

ولا ريب ان ظروفاً هذه حالتها ، لا بد ان تولد منها مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية للحكومات وللرعية ، فاختل الأمن خاصة في المناطق الواقعة تحت أقدام الجيوش ، فيوماً تكتسحها جيوش الفرس فتهدم كل ما تجده أمامها من قرى ومدن ، ويوماً تغزوها جيوش الروم فتستولي على ما تجده أمامها من حاصلات زراعية ومن أموال . وفي ظروف هذه شأنها لا بد ان يجد الخارجون على النظام والطامعون في الربح السهل الحرام فرصاً مواتية لا يفرط فيها للكسب والظفر بما يرغبون فيه ، فتأثرت بذلك حالة سكان هذه الأرضين ، كما تعرضت التجارة للأخطار ، واضطر التجار الى سلوك طرق نائية ليكونوا بأمن من شر قطاع الطرق وفسادهم . وترك أكثر الناس مزارعهم وقراهم فراراً من هذا الوضع الى المدن الكبيرة البعيدة عن مواطن الغزو والأخطار ، فتحولت خيرة الأرضين الحصية الى أرضين مجلبة ، نتيجة لهذه الهجرة ، ولتراكم الأتربة في شبكات

الري . ولكن هذا القرن لم يعد مع ذلك حُكماً حاولوا جهد امكانهم إصلاح الخطأ ، وأناساً كان لهم حسن شعور بما وصلت اليه الحالة ، فنادوا بالإصلاح . ولكن صيحاتهم لم تكن ذات أثر خطير في قوم قلقين حائرين ، وليس في أيديهم زمام أمورهم ، وقد اعتراهم ذهول جعلهم لا يعرفون كيف يتصرفون . ثم ان الحمل كان ثقيلاً ، والأخطاء كثيرة ، والأمراض عديدة لا يقومها طبيب واحد أو أطباء معدودون .

لقد عزم (كسرى) الأول (٥٣١ - ٥٧٩ م) المعروف بـ (كسرى أنوشروان) ، على إصلاح الحال في مملكته ، فأمر بوضع دستور جديد للعباية يخفف عن كاهل الدافعين بعض الثقل ، وأمر بإصلاح الأرض وتوزيعها على شعبه بالعدل وبالإنصاف بين الناس حتى عرف لذلك بالعدل ، واستعان بمستشارين حكماء كانوا يعظونه ويرشدونه بطريقة الحكم والأمثال والعظات الى كيفية سياسة الرعية وتدبير أمورها ، كما ولي النواحي الروحية عنايته كذلك ، فأعاد الزردشتية القديمة ، وقاوم الحركة المزدكية التي قام بها (مزدك) في عهد والده (قباد الأول) (٤٨٣ - ٥٣١ م) (٤٨٨ - ٥٣١ م)^١ ، وهي حركة تدعو الى الغاء الملكية ، والى الإباحية ، والى القضاء على امتيازات النبلاء ورجال الدين على ما تقوله الموارد التاريخية العربية المستندة الى موارد (فهلوية) شجعها (قباد) لما وجد فيها من مبادئ توافق سياسته الرامية الى مقاومة تلك الطبقات المتنفذة التي عارضت في انتقال العرش اليه ، والتي اجتمعت كلمتها برئاسة (موبدان موبد) والعطاء على انزاله من عرشه ، لما بدا لهم من ازوراره عنهم ، وانحرافه عن الزردشتية الى تعاليم مزدك المناهضة للموابة ولعطاء المملكة الذين كانوا يتمتعون في المملكة بنفوذ واسع حدث من سلطان (شاهنشاه) .

ورسالة مزدك وتعاليمه ، غامضة ، لا نعلم من حقيقتها شيئاً ، فقد أبيدت كتبهم وطمست معالم دينهم في عهد (أنوشروان) ، ولم يبق منها الا هذه التتف المدونة في الكتب العربية عن موارد (فهلوية) دوتت في أيام محنة المزدكية وبعدها . ويظهر من هذه التتف انها حركة دينية اجتماعية سياسية تدعو الى توزيع الثروات بين الناس بالتساوي . والى انتزاع الأموال والأرضين من الأغنياء لاعطائها

للمقلّين ، حتى من كان عنده جملة نساء تؤخذ منه لتعطي لغيره من المحتاجين ، فهي على هذا التعريف فكرة اشتراكية متطرفة عارضت النظم الاجتماعية القائم ، وهددت الدين القائم ، وجرأت العامة على تلك الطبقات ، كان الملك في حاجة اليها للإنتقام ممن عارضه فأيدها ^١ .

هذا وحيث أننا قد تعلمنا من التجارب التي تجري في الوقت الحاضر ومن دراستنا للموارد التاريخية القديمة ، ان ما يكتب عن قوم غضب الحاكمون عليهم لا يمكن ان يكون مرآة صافية يعبر عن وجه أولئك القوم وعن ملاحظهم الحقيقية ، لذا فإننا لا نستطيع ان نقول ان ما وصل اليها عن المزدكية يمثل رأيها وعقليتها تمام التمثيل ، إذ يجوز ان يكون منه ما هو مصنوع موضوع حمل عليهم ، وان رواة الأخبار قد غرّفوا منه ، ودوتوه على نحو ما وصل اليها في كتبهم . لذلك يجب الانتباه الى هذه الملاحظة .

وحمل عدل الملك الساساني وحلمه وتسامحه مع رعيته ومساعدته للخارجين على الكنيسة الرومية الرسمية (من الفلاسفة والمثقفين بالثقافة الإغريقية القديمة ممن كانوا هدفاً لهجمات الكنيسة الأرثوذكسية في الانبراطورية البيزنطية) على الهجرة الى المملكة الساسانية ، طامعين في عدل الملك وحمائته ، وفي بياة تكون فيها الحرية الفكرية مكفولة مضمونة ، لا ضغط فيها ولا إكراه . ولكنهم ما لبثوا ان وجلوا ان الزردشتية التي نصرها وأيدها (كسرى أنوشروان) ، وهي ديانة المملكة غير ملائمة للفلسفة ، وانها ليست أرحب صدرأ من (الأرثوذكسية) ، وانهم لم يكونوا على صواب بمجيئهم الى هذه الأرض ، فرجوا من (ملك الملوك) الترفق بهم ، بالسباح لهم بالعودة الى بلادهم . فلما كانت الهدنة ، طلب (كسرى) من قيصر في سنة ٥٤٩ م إياحة العودة الى ديارهم والتلطف بهم والعفو عما بدر منهم من الذهاب الى مملكته ^٢ .

١ الطبري (٨٧/٢ وما بعدها) ،

Nöldeke, Geschichte der Perser, S., 455, A. Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I et le Communisme Mazdakite In der Kongl. Danske, Viedenskalerne Selskab., Copenhagen, 1935.

H. G. Wells, The Outline of History, P. 564. ٢

وكان مما فعله (كسرى أنو شروان) أن هاجم الامبراطورية البيزنطية وقصرها في عهد (يوسطقيان) (يسطينيانوس) (جستنيان) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ، واشتبك معها في جملة حروب ، ووسع حدوده في الشرق ، وساعد الاحزاب المعارضة للروم ، وأرسل حملة الى اليمن بناء على طلب الأمراء المعارضين لحكم الحبشة عليها ، ساعدتهم في وضع خطة لازاحة الحبشة عنها .^١ والحبش هم حلفاء البيزنطيين واخوانهم في الدين وهم الذين حثوا النجاشي على فتح اليمن بعد ان يشوا من الاستيلاء عليها ومن الاستيلاء على الحجاز وبقية جزيرة العرب .

واتبع (كسرى الثاني) (٥٩٠ - ٦٢٨ م) المعروف بـ (كسرى أبرويز) ، وهو ابن (هرمز بن كسرى أنو شروان) ، خطوات جده وأسلافه الملوك الماضين في الحرب مع البيزنطيين ، فبلغ (خلقيدونية) ثلاث مرات ، واستولى على بلاد الشام ، ودخلت جيوشه القدس في سنة (٦١٤ م) . ثم استولى على مصر في سنة (٦١٩ م) ودوّخ بفتوحاته الروم الى أن عاجله ابنه بخلعه ، فاستراح الروم منه ، ثم لم يلبثوا أن استردوا من الفرس أكثر ما أخذوه منهم في تلك الحروب . وقد اضعفت هذه الحروب المتوالية الحكومة الساسانية وأذت الشعوب التي خضعت لحكمها وأفقرتها ، وأثرت على الأمن الداخلي وعلى الأوضاع الاقتصادية والعمرائية تأثيراً كبيراً ولا سيما في البلاد التي صارت ساحة تعبئة وتلاحم جيوش ، وهي بلاد العراق . ولم يعد الانسان يأمن على حياته وعلى ماله ، وصار سواد الناس وكأنهم أبقار واجبها اعطاء الحليب وأداء الاعمال الأخرى للحكام ، والذبح للاستفادة من لحومها ومن جلودها وعظامها حينما تنتهي الحاجات الأخرى منها . وتأسد المرابزة وقادة الجيوش في الحكم ، حتى صار الحكم حكم عواطف وأهواء ومصالح ، و (اشاهنشاه) عاجز عن عمل كل شيء لأن (الشاهنشاهية) ، لم تعد متقيدة بالوراثة القديمة وبالآداب السلطانية ، بل صارت لمن يستعين بأصحاب العضلات وبمثيري الفتن والاضطرابات . أضف الى ذلك أن من بيده مفتاح الدفاع عن الدولة ، وهم الجنود ، والضباط الصغار ، شعروا أنهم يقاتلون لا في سبيل وطن ودين وعقيدة ، بل يقاتلون لأنهم يساقون الى القتال قسراً ، وهم في حالة سيئة ووراءهم عوائلهم لا تملك شيئاً ، وقد جيء بهم الى الجيش قسراً وعلى

١ الطبرى (٩٣/٢ وما بعدها) .

طريقة (السخرة) . وهم يحاربون ولا سلاح لهم ، لأن الحكومة لا تملك سلاحاً ، ولا نظام لهم ، لأنهم لم يلدربوا على القتال ولم يعلموا أصوله ، أجسامهم تقاقل ، وقلوبهم مشغولة في مصير أولادهم وزوجاتهم وبيوتهم ، وهم المعيلون لهم ، ليس لهم غيرهم من معين .

وحكومة هذا شأنها ، لا يمكن لها أن تحافظ على حدود طويلة مفتوحة سهلة تقيم عليها قبائل غازية ، ترقب الفرس لتجد فرصة تهتلها لتغير فيها على الحضرة ، فتنتزع منهم ما قد تقع أيديهم عليه من أي شيء . فصار الاعراب يغيرون على الحدود من كل مكان فيه نفوذ وجنود للساسانيين ، ولا سيما بعد معركة (ذي قار) التي منحتهم قوة معنوية عالية ، وعلمتهم مواطن الضعف عند الساسانيين . فلما جاء الاسلام من جزيرة العرب صاروا عوناً له في تقويض تلك الدولة ، ودالة ساعدته في تفهم مواطن الضعف فيها ، ومنها نفذ الاسلام الى ما وراء البحار ، وقوض الحكومة الضخمة بسرعة عجيبة وبمحاربين لم يكونوا قد عرفوا من قبل أساليب القتال المنظم ، ولا المعارك الضخمة التي صادفوها لأول مرة في حروبهم مع الساسانيين والبيزنطيين .

وقد طمعت القبائل في حكومة الحيرة أيضاً ، هذه الحكومة التي ظهر عليها الوهن كذلك . فأخذت تغير عليها وتعرض بحدودها ، وتتحرش بقوافلها التي كان يرسلها ملوكها للإتجار في أسواق الحجاز واليمن . حتى صارت الطرق التي تسلكها خطيرة غير آمنة ، لا يتمكن رجالها من المرور بها بسلام . ولم يستطع الساسانيون من مساعدتها وحمايتها ، لأن أوضاعهم الداخلية ، كانت كما ذكرت على غير ما يرام . وهذا مما راد في تصميم القبائل على مهاجمة ماوك الحيرة وحدود الفرس في آن واحد . ولعل هذه الغارات ، كانت في جسيمة الأسباب التي حملت (كسرى) على القضاء على النعمان وعلى انتهاء حكم (آل نصر) ، اما بسبب ما رآه (كسرى) من عدم تمكن الملك (النعمان) من تأديب القبائل ومن ضبط الطرق والأمن ؛ فارتأى استبداله بعربي آخر أو برجل قومي من قادة الجيوش الفرس . واما لقلته أو لما وصل الى علمه من خبر يفيد بأن النعمان قد أخذ يفاوض سادة القبائل الكبار لارضائهم وضمهم اليه . وفي هذا العمل تهديد لمصالح الفرس ومحاولة للابتعاد عنهم . فأراد لذلك القضاء عليه وعلى الأسرة الحاكمة ، قبل أن

يتمكن من الحصول على تأييد أولئك السادة الذين أدركوا نواحي الضعف في حكومة الساسانيين .

وهناك روايات يشتمّ منها أن (النعمان) ، قال لسادات القبائل : (انما انا رجل منكم ، وانما ملكتُ وعززتُ بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ... ليعلم أن العرب على غير ما ظن وحدث) .^١ وروايات تفيد أن (كسرى) انما قتل (النعمان) ، لأنه وسائر أسرته سايروا سادات القبائل وتواطئوا معهم على الساسانيين .^٢ ولعل عجز ملوك الحيرة عن حماية قوافل الفرس اللاهبة الى اليمن والآية منها ، وعن حماية الطرق البرية المهمة التي توصل العراق باليمن ، ثم عجز ملك الحيرة من منع الاعراب من الاغارة على حدود الساسانيين ، ثم اضطراب الملك (النعمان) على الاتصال بسادات القبائل لترضيتهم ولضمهم اليه لتأييده ولتقوية ملكه الضعيف ، الذي كان يهدده خصوم له . لعلّ هذه الأسباب وغيرها ، كانت في جملة العوامل التي حملت (كسرى) على القضاء على (النعمان) وعلى استبدال الأسرة الحاكمة بأسرة أخرى ، أو تسليم أمور الحيرة نهائياً الى قائد فارسي ، يحكمها حكماً عسكرياً .^٣

وقد نصب الفرسُ حاكماً منهم على الحيرة ، لكنه لم يتمكن من سد أبواب الحدود الطويلة وغلقها ، ومنع الاعراب من دخولها . لقد اجتازوها ثم جاوزوها الى مسافات بعيدة في الاسلام ، أوصلت العرب الى الصين والهند وتركستان الصينية . ذلك لأن الفرس كانوا منهوكي القوى في الداخل وفي الخارج ، وقد أتعبتهم الأوجاع ، بينما جاء العرب بايمان برسالة ، وبعزم وتصميم ، وباعتماد على النفس ، من أن النصر سيكون لهم حتماً . لقد بدأ هذا العزم قبل (ذي قار) ، ثم تجسم في (ذي قار) ، فكان نصر المعركة في هذا الموضع ، ناقوس النصر ، و (الهرمون)

١ ابن عبد ربه ، العقد (١٦٩/١) ،

M. J Kister, In Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol., VIII, Part : II, November 1965, P. 114.

Rothstein, PP. 116, Kister, P. 115. ٢

Nöldeke, Geschichte der Perser, S. 332, Rothstein, S., 116, Levi Della Vida, ٣
In The Arab Heritage, P. 50, Brockelmann, History of the Islamic People, P. 8, Kister, P. 114.

الذي بعث الحيوية في جسم القبائل ، فجعلها تشعر أن في استطاعتها أن تفعل شيئاً ، لو وحدت نفسها ، وعملت عملاً ايجابياً منتظماً ، بعد دراسة وتفكير ، وباعدت نفسها عن الهياج والحماس والكلام الكثير ، الذي يذهب بعد تكلمه مع الهواء .

ولم تكن مشكلات الروم أقل خطورة أو عدداً من مشكلات الساسانيين . لقد تمكنت النصرانية ، بعد عنت واضطهاد ومقاومة ، أن تكون ديانة رسمية للحكومة والشعب . وكان المأمول أن تتوحد بذلك صفوف الأمة ، غير أن التصدع الذي أصاب هذه الديانة لم يحقق لها ذلك الأمل ، فتدخلت المذهبية في السياسة ، في المذهبيات . وتولدت من هذا التدخل مقاومة رسمية من الحكومة للمذاهب المعارضة ، واضطهاد لكل من يعارض مذهب القيصر . وظهرت كنيسة شرقية وكنيسة غربية ، وتجزأ النصرانيون الى شيوع وفرق "عد" بعضها خارجاً على تعاليم الحق والامان ، هي في نظر (الأرثوذكسية) مذاهب الحادية باطلة ، فعولمت كما عاملت وثنية روما النصرانية حين ظهورها ، فحوربت بغير هوادة واضطر الكثير من المخالفين الى التكم أو الهرب الى مواضع ليس للبيزنطيين عليها سلطان .

والحروب المتوالية التي شنها الفرس على البيزنطيين ، والبيزنطيون على الفرس ، وانقسام الإمبراطورية الى حكومتين : حكومة روما وحكومة القسطنطينية ، ثم مهاجمة الملوك والأقوام الساكنة في أوربة لهاتين الحكومتين من الشمال والغرب ، كل هذه انتجت مشكلات خطيرة للعالم الغربي عامة وللروم خاصة . وقد كان ازعاج الروم واقلاقتهم ، مما يفيد بالطبع منافسيهم الفرس ويسرهم ، فكانوا يشجعون الثائرين ويتحالفون معهم لأن في ذلك قوة لهم ، كما كان الروم أنفسهم يشجعون الاحزاب المعارضة للفرس ويحرضونها على الثورة على الساسانيين والتمرد عليهم ، وعلى مهاجمة حدودهم نكاية بأعدائهم وللانتقام منهم حتى صارت الحروب بين الانبراطوريتين تقليداً موروثاً ، لا يتركها احد الطرفين الا اضطراراً ، ولا تعقد هدنة بينها الا بدفع جزية تكون مقبولة لدى الطرف الغالب تغنيه عن المكاسب التي يتأملها من وراء الحرب . يدفعها المغلوب صاغراً بسبب الاحوال الحرجة التي هو فيها ، آملاً تحسن الموقف للانتقام من الخصم . فتأريخ الساسانيين والروم ، هو تأريخ هدن وحروب عادت الى بلاد الطرفين بأفدح الاضرار . وما الذي يكسبه الانسان من الحروب غير الضرر والدمار ؟

لقد وجد (كسرى أنوشروان) (٥٣١ - ٥٧٩ م) في انشغال (يوسطيان) (جستنيان) (Justinian) (٥٢٧ - ٥٦٥ م) بالحروب في الجبهات الغربية فرصة مواتية للتوسع في المناطق الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية ، فتحل من (الهدنة الأبدية) التي كانت قد عقدت بين الفرس والروم ، وهاجم الإمبراطورية منتحلاً أعداراً واهيةً ، واشترك في قتال دمويّ مرّ بجيوش الروم . ولم يفلح مجيء القائد (بليزاريوس) (Belisarius) من الجبهات الإيطالية لايقاف تقدم الفرس ، فسقطت مدن الشام وبلغت جيوش الفرس سواحل البحر المتوسط ، وبعد مفاوضات ومساومات طويلة تمكن الروم من شراء هدنة من الفرس أمدها خمس سنوات بشروط صعبة عسيرة ، وبدفع أموال كثيرة . ثمّ مُدّدت هذه الهدنة على أثر مفاوضات شاقة مع الفرس خمسين عاماً حيث عقد الصلح في سنة (٥٦١) أو (٥٦٢ م) . تعهد الروم لكسرى بدفع إتاوة سنوية عالية ، وتعهد الفرس في مقابل ذلك بعدم اضطهاد النصارى ، وبالسماح للروم في الإنجسار في ممتلكاتهم على شرط معاملة الروم لرعايا الفرس المعاملة التي يتلقاها تجار الروم في أرض الساسانيين^١ .

و (يوسطيان) معاصر (كسرى أنوشروان) شخصية فذة مثل شخصية معاصره ، ذو آراء في السياسة وفي الملك ، من رأيه ان الملك يجب ان يكون دليلاً وقلوداً ونبراساً للناس ، وانه لا يكون عظيماً شهيراً لحروبه ولكثرة ما ملكه من سلاح وجند ، إنما يكون عظيماً بقوته وبقدرته والقوانين التي يسنها لشعبه للسير عليها ، تنظيماً للحياة . فالملك في نظره قائد في الحروب ومرشد في السلم ، حام للقوانين ، منتصر على أعدائه . وكان من رأيه ان الله قد جعل الأباطرة وولاته على الأرض ، وأدلة للناس ، قوامين على الشريعة . ولذلك فإن من واجب كل انبراطور ان يقوم بأداء ما فرضه الله عليه بسنّ القوانين وتشريع الشرائع ، ليسير الناس عليها . ولما كانت القوانين التي سارت عليها الانبراطورية الرومانية كثيرة جداً ، حتى صعب جمعها وحفظها ، تطرق اليها الحلل ، وتناقضت

A. A. Vasiliev, History of the Byzantine Empire, 1952, PP. 138, K. Guterbock, Byzants und Persien in Ihren Diplomatischen Volkerrechtlichen Beziehungen in Zeitalter Justinians, S, 57, 105, Bury, Later Roman Empire, II, PP. 120.

الأحكام . لذلك رأى ان من واجبه جمعها وتنسيقها وتهذيبها واصدارها في هيئة دستور انبراطوري يسير عليه قضاة الانبراطورية في تنفيذ الأحكام بين الناس ، وعهد بهذا العمل الشاق الى (تريونيان) (Tribonian) من المشرعين المعروفين في أيامه^١ . فجمع هذا المشرع البارع القوانين في مدونات ، ورتبها في كتب وأبواب ، وصان بتدوينه هذا بعض القوانين البيزنطية والرومانية من الضياع ، وأورث المشرعين ذخيرة ثمينة من ذخائر البشرية في التشريع .

ويعد هذا العمل من الأعمال العظيمة في تأريخ التشريع ، ولم يكن (يوسطنيان) أول من فكر في جميع القوانين السابقة في مدونة ، ولكنه كان أول من أقدم على تنسيقها وجمع ما تشتت منها وتيسيرها للمشرعين ، وقد وحد بذلك قوانين الانبراطورية ، فعُدَّ صنيعة هذا اصلاً كبيراً يبدل على شعور الملك وتقديره للعدالة في مملكته . وقد أدخل معاصره (كسرى أنوشروان) اصلاحات على قوانين الجباية ، فعد القرن السادس من القرون المهمة في تأريخ التشريع . ولكن الذي يؤسفنا اننا لا نملك موارد تفصل اصلاحات (كسرى) وهل هي نتيجة شعور بضرورة ملحة وحاجة ، أو هي صدى للعمل الذي قام به (يوسطنيان) ، ثم أي مدى بلغته تلك الإصلاحات ؟

وفكرة اخضاع الانبراطورية لقانون واحد نابعة من أصل عام كان يدين به (يوسطنيان) ، يتلخص في دولة واحدة وقانون واحد وكنيسة واحدة . كان يوسطنيان يرى ان الدولة المنظمة هي الدولة التي يخضع فيها كل أحد لأوامر القيصر ، وان الكنيسة إنما هي سلاح ماض يعين الحكومة في تحقيق أهدافها ، لذلك سعى لجعلها تحت نفوذ الحكومة وفي خدمة أغراضها ، فتقرب الى رجال الدين ، وساعد على انشاء كنائس جديدة ، واستدعى الى عاصمته رؤساء الكنيسة (المتوفيزيتية) (Monophysites) القائلين بالطبيعة الواحدة واليعاقبة وأتباع (آريوس) (Arius) وغيرهم من المعارضين لمباحثهم ولعقد مناظرات بينهم وبين الكنيسة الرسمية للتقريب فيما بينهم ويجاد نوع من الاتفاق يخدم أهداف الملك المذكور . ولكن هذه المحاولة لم تنجح ، ومحاولات التوفيق لم تثمر ، ولتحقيق نظريته في الكنيسة الواحدة اضطهد أصحاب المذاهب المعارضة وكذلك اليهود .

واضطرب بعضهم الى ترك الانباطورية والهجرة الى مملكة الساسانيين والى المحلات التي ليس للحكومة عليها سلطان¹ .

وزادت نظريته المذكورة في الدولة وفي الكنيسة في حدة المشكلات التي ورثها من أسلافه وجاءت بنتائج معاكسة لما كان يريد منها . فحاولت تقربه من (البابا) وتأييده له ، اصطدمت بفكرة كانت مهيمنة عليه ، هي ان علمه باللاهوت لا يقل عن علم رجال الدين به ، وان من حقه التدخل في أمور الكنائس وفي تسيير المجامع الكنيسية ، لتوحيد الكنائس واعادتها الى أصلها ، فأزعج بذلك (البابا) ، وصار من أصدقائه ، وأزعج أصدقاءه ومعارضوه من رجال المذاهب الأخرى ، لأنه خالفهم ، وجاء بتفسيرات لم ترضي أي مذهب منها . واضطر أخيراً على الخضوع لعقيدته المهيمنة على عقله ، وهي ان ما يراه في الدين ، هو الصحيح ، وهو الحل الوسط للنزاع الكنسي ، وهو الأصلح للدولة . فخلق معارضين له . وأغلق (جامعة أثينا) ومدارس البحث ، واصدر أمراً بمنع الوثنيين وكل من ليس نصرانياً من الاشتغال في الدولة . وهكذا ولدت نظريته في (أنا الدولة) مشكلات خطيرة لدولته وللدولة من جاء بعده من قياصرة .

وكانت لدى الروم مثل هذه المشكلة التي كانت عند الفرس : مشكلة تهرب كبار الملاكين والمتنفذين من دفع الضرائب ، وزيادة نفوذهم وسلطانهم في الدولة . فزعم (يوسطيان) على الحد من سلطانهم ، والتشديد في استيفاء الضرائب لمعالجة الوضع الحربي الناتج من قلة المال اللازم للاتفاق على جيش كبير ، مما اضطرت الحكومة الى تقليص عدد الجنود . فأصدر أوامر عديدة بالتشديد في جمع الضرائب ، وباجراء الإصلاحات في الإدارة ، غير ان اصلاحاته هذه لم تنفذ ، إذ لم يكن في مقدور الحكومة تنفيذها لعدم وجود قوة لديها تمكنها من الحد من نفوذ المتنفذين ورجال أكفاء أقوياء يقومون بالتنفيذ .

واهتم (يوسطيان) بأمر التجارة . والتجارة مورد رزق للدولة كبير ، ولا سيما مع الأقطار الشرقية ، فقد كانت بضائعها مرغوباً فيها في أوروبا ومطلوبة ، تجني الحكومة منها أرباحاً كثيرة ، وفي مطلع قائمة هذه البضائع النفيسة الأموال

Vasiliev, PP. 150, Knecht, Die Religions Politik Kaiser Justinianus, S, 36. 1

التي ترد الى الانبراطورية من الصين والهند ، فقد كانت تلاقى اقبالاً كبيراً من أثرياء الانبراطورية ومن أثرياء انبراطورية روما الغربية وبقية أنحاء أوربة .

وأثمن بضاعة في قائمة البضائع الواردة من الصين مادة الحرير ، ولثمن الحرير الباهض حرص الصينيون على ألا يسمحوا لأي غريب كان ان ينقل معه البيض أو الديدان التي تتولد منه الى الخارج ، خشية المزاحمة والمنافسة التي تلحق بهم أفدح الأضرار . وتلي هذه المادة البضائع النفيسة الأخرى مثل العطور والقطن الوارد من الهند والتوابل وأمثالها من المواد التي كان يعجب بها أصحاب الذوق في ذلك الزمن . كل هذه يشتريها تجار الروم ، وبعد ان تأخذ الدولة البيزنطية الضرائب المفروضة ، تسمح للتجار بالتصرف فيها وبيعها على بقية الأوربيين .

وأسعار هذه المواد عالية باهظة الى درجة كبيرة صارت مشكلة من مشكلات الدولة البيزنطية ، ولهذا كانت تتصل دوماً بالانبراطورية الساسانية لمحاولة الاتفاق على تحديد الأسعار ، وتعيين مقدار الضرائب ، وذلك بسبب ورود أكثرها من هذه الانبراطورية ، إذ كان التجار يأتون بالأموال من أسواق الصين تنقلها القوافل التي تجتاز أرض الدولة الساسانية لتسلمها الى حدود الانبراطورية البيزنطية ، ومنها الى العاصمة لتوزع في الأسواق الأوربية .

هذا طريق . وهناك طريق آخر هو طريق البحر . يحمل تجار الصين أموالهم على سفن توصلها الى جزيرة (تروبانة) (Taprobane) وهي جزيرة (سيلان) ثم تفرغ هناك ، فتُحمل في سفن تنقلها الى خليج البصرة ، ثم تحمل في سفن أخرى تمخر في دجلة والفرات الى حدود الروم .

ولما كانت علاقات الروم بالساسانيين غير مستقرة ، والحرب بين الانبراطوريتين متوالية صارت هذه التجارة معرضة للتوقف والإنقطاع طوال أيام الحروب ، وهي كثيرة ، فترتفع أسعارها هناك ، كما ان الساسانيين كانوا يزيدون في أسعار البيع وفي ضريبة المرور ، فتزيد هذه في سعر التكليف ، ولهذا فكر (يوسطيان) في التحرر من تحكم الساسانيين في مورد مهم من موارد رزقهم ، وذلك باستيراد

بضائع عن طريق البحر الأحمر ، وهو بعيد عن رقابة الساسانيين^١ .

والخطة التي اختطها (يوسطنيان) لتحرير التجارة البيزنطية من سيطرة الساسانيين عليها ، هي الإتصال بالأسواق الرئيسية المصدرة ، ونقل المشتريات الى الانباطورية بالبحر الأحمر الذي كان يسيطر الروم على أعاليه . لقد كان ميناء (أيلة) في أيدي البيزنطيين ، وكان هذا الميناء موضعاً لتفريغ السفن الموسقة بالبضائع المرسله من الهند الى فلسطين وبلاد الشام ، كما كان ميناء (القلزم) (Clysma) في أيديهم كذلك ، تقصده السفن التي تريد ارسال حمولتها الى موانئ البحر المتوسط . أما جزيرة (أيوتابة) (Iotabe) وهي جزيرة (تاران) (تيران) ، فقد كانت مركزاً مهماً لجباية الضرائب من السفن القادمة من الهند ، وكانت في أيدي بعض سادات القبائل ، فأمر (يوسطنيان) باقامة موظفي الجباية البيزنطيين بها ، ليقوموا بالجباية . وأما ما بعد هذه المنطقة حتى مضيق المنذب والمحيط الهندي فلم يكن للبيزنطيين عليه نفوذ^٢ .

ولتحقيق هذه الخطة ، كان عليه وجوب السيطرة على البحر الأحمر والدخول منه الى المحيط الهندي ، للوصول الى الهند وجزيرة (سيلان) . ولا يمكن تحقيق هذه الخطة إلا بعملين : عمل عسكري يعتمد على القوة ، وعمل سياسي يعتمد على التقرب الى الحبشة الذين كانوا قد استولوا على اليمن ، فصار مدخل البحر الأحمر : (مضيق باب المنذب) بذلك في أيديهم . ثم بالتودد الى سادات القبائل العربية النازلة في العربية وفي بادية الشام ، لضمهم الى صفوف البيزنطيين ، ولتحريضهم على الفرس ، وبذلك يلحق البيزنطيون ضرراً بالغاً بالفرس ويكون في استطاعتهم نقل التجارة نحو الغرب عن جزيرة العرب والبحر الأحمر الى أسواقهم بكل حرية وأمان .

أما العمل العسكري ، فلم يكن في وسع البيزنطيين القيام به في ذلك الوقت ، لعدم وجود قوات برية كبيرة كافية . لتتمكن من اجتياز العربية الغربية للوصول

١ Vasillev, P. 163, Bulletin of the School of Oriental and African Studies University of London, Vol., XVI, Parts 3, 1954, P. 425.

٢ W. Heyd, Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, I, 10, 1885, (1935 2 end.), Vasillev, P. 167.

الى اليمن ، حيث الحبش هناك ، اخوان البيزنطيين في الدين . وقد علموا من التجارب السابقة ، أن الجوع والعطش يفتكان بالجيش فتكاً ، وان القبائل لا يمكن الاطمئنان اليها والوثوق بها أبداً ، لذلك تركوا هذا المشروع . فلم يبق أمامهم غير تنفيذ من ناحية البحر ، وقد وجدوا ان هذا التنفيذ غير ممكن أيضاً ، لأن أسطولهم في البحر الأحمر لم يكن قوياً ، ولم يكن في استطاعته السيطرة عليه سيطرة تامة . فتركوه ، ولو الى حين ، مفضلين عليه العمل السياسي .

أما العمل السياسي ، فقد تم بالاتصال بالحبش ، وقد كان ملكهم على النصرانية ، لذلك كان من الممكن جلبه الى البيزنطيين بالتودد اليه باسم الاخوة في الدين . كما تم بالتقرب الى سادات القبائل المنتصرين ، والتودد اليهم باسم الدين أيضاً . وتم بارسال المبشرين الى جزيرة العرب ، وبتشجيعهم على المعيشة بين الأعراب وفي البوادي لتنصير سادات القبائل ، وللتأثير عليهم بذلك . وباقامة الكنائس وارسال المال وعمال البناء لبنائها بأسلوب يؤثر في عقول الوثنيين ، فيجعلها تميل الى النصرانية ، ولتكون هذه المعابد معاهد تثقيف تثقف بالثقافة البيزنطية كما تفعل الدول الكبرى في هذه الأيام .

وأرسل (يوسطيان) - كما سبق ان بينا ذلك ¹ - رسولا عنه يدعي (يوليانوس) (جوليانس) (Julianus) الى النجاشي والى (السميع أشوع) (Esimphanus) حاكم اليمن في ذلك العهد ، ليتودد اليها ، وليطلب منها باسم (العقيدة المشتركة) التي تجمعهم ان يكونا مع الروم جبهة واحدة في محاربة الساسانيين ، وان يقوما مع من ينضم اليهم من قبائل العرب بمهاجمتهم ، وحمل السفير الى (السميع أشوع) رجاء آخر ، هو موافقته على تعيين رئيس عربي اسمه (Kaisos أي (قيس) عاملاً (فيلارخ) (Phylarch) على قبيلة عربية تدعى (معدني) (Maddeni) ، أي قبيلة (معد) ، ليشترك معه ومع عدد كبير من أفراد هذه القبيلة بمهاجمة الساسانيين .

وقد رجع السفير فرحاً مستبشراً بنجاح مهمته ، معتمداً على الوعود التي أخذها من العاهلين . غير أنها لم يفعلوا شيئاً ، ولم ينفذوا شيئاً مما تعهدا به

١ الجزء الثاني والثالث من هذا الكتاب .

للسفير ، فلم يغزوا الفرس ، ولم يعين (السميغ أشوع) (قيساً) (فيلارخاً)
عاملاً على قبيلة معدّ .

وورد أيضاً ان القيصر جدّد في أيام (ابراموس) (Abramios) الذي نصب
نفسه في مكان (Esimiphaeus) ، طلبه ورجائه في محاربة الفرس ، فوافق على
ذلك وأغار عليهم ، غير انه تراجع بسرعة^١ .

ويظهر ان اتصال البيزنطيين بـ (ابراموس) (Abramos) كان بعد القضاء
على (السميغ أشوع) الذي لم يتمكن من مهاجمة الفرس إذ كان من الصعب
عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق بعيدة تمرّ بصحارى وقفار لمحاربة أناس
أقدر من رجاله على القتال^٢ . فلما تمكن (ابراموس) من التحكم في شؤون
اليمن ومن تنصيب نفسه حاكماً عاماً على اليمن وصارت الأمور بيديه تماماً ،
فكر البيزنطيون في الاستفادة منه بتحريضه على الساسانيين ، وذلك باسم الأخوة
في الدين .

وقد تحرش (ابراموس) بالفرس ، غير انه لم يستمر في تحرشه بهم . فإ
لبث ان كفّ قواته عنهم^٣ . ولم يذكر المؤرخ (بروكويوس) كيف هاجم
(ابراموس) الساسانيين ، ومن أين هاجمهم ومتى هاجمهم . لذلك أبقانا في
جهل بأخبار هذا الهجوم .

و (ابراموس) هو (أبرهة) الذي تحدثت عنه في أثناء كلامي عن اليمن .
أما ما أشار اليه (بروكويوس) من تحرشه بالفرس ومن تركه لهم بعد قليل ،
فقد قصد به حملته على (مكة) على الغالب ، وهي حملة قصد بها (أبرهة)
على ما يظهر الاتصال بالبيزنطيين عن طريق البر ، واخضاع العربية الغربية بذلك
الى حكمه وهو من المؤيدين البيزنطيين . وبذلك تؤمن حريسة الملاحه في البحر
الأحمر ، ويكون في إمكان السفن البيزنطية السير به بكل حريسة . ولعلّه كان
يقصد بعد ذلك مهاجمة الفرس من البادية بتحريض القبائل المعادية للساسانيين
عليهم ، وبتأليف حلف من قبائل يؤثر عليها فيهاجم بها الفرس .

Procopius, I, XX, 1-13, ZDMG., (1881), S. 36 ١

Procopius, I, XX, 9-13. ٢

Procopius, I, XX, 9-13. ٣

اما (Kaisos) (Caisus) ، فكان كما وصفه المؤرخ (بروكوبيوس) شجاعاً ذا شخصية قوية مؤثرة حازماً من أسرة سادت قبيلة (معدّ) . وقتل أحد ذوي قرابة (السميع أشوع) (Esimaphaios) (Esimiphaeus) ، فتعادى بذلك معه ، حتى اضطر الى ترك دياره والهرب الى مناطق صحراوية نائية .^١ فأراد القيصر الشفاعة له لدى (Esimaphaios) ، والرجاء منه الموافقة على اقامته رئيساً (Phylarch) على قبيلته قبيلة معدّ .

ولا يعقل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع ، لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة ، لما عند قومها مكانة ومنزلة ، وعند القيصر أهمية وحظوة . ولشخصيته ومكانة أسرته أرسل رسوله الى حاكم اليمن لاقناعه بالموافقة على اقامته رئيساً على قومه . وبهذا يكتسب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيد في خطته السياسية الرامية الى بسط نفوذ الروم على العرب ، ومكافحة الساسانيين .

ونحن لا نعرف من أمر (قيس) هذا في روايات الاخباريين شيئاً غير أن هناك رواية لابن اسحاق جاء فيها أن أبرهة عين محمد بن خزاعي عاملاً له على مضر ، وأن (قيساً) كان يرافق أخاه محمداً حين كان في أرض كنانة . فلما قتل (محمد) ، قرأ الى (ابرهة) .^٢ وقد ورد نسب (محمد) على هذه الصورة : (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالح ابن ذكوان السلمي) في بعض الروايات ، وذكر أنه كان في جيش أبرهة مع القبيل .^٣

فهل قيس هذا هو قيس الذي ذكره (بروكوبيوس) ؟ . اتصل مع اخيه محمد بأبرهة ، وصار من المقربين لديه ؟ أو هو رجل آخر لا علاقة له بـ (قيس) الذي يذكره (ابن اسحاق) ؟

وقد زار والد (نونوسوس) (Nonnosos) (قيساً) هذا مرتين ، وذلك قبل سنة (٥٣٠ م) وزاره (نونوسوس) نفسه في اثناء حكمه . وأرسل (قيس)

Procopius, I, XX, 9-13. ١

Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, PP. 434. ٢

المحبر (١٣٠) ٣

ابنه (معاوية) الى (يوسطنيان) ، ثم أعطى أخاه ثم ابنه الامارة . وعينه القيصر عاملاً (Phylarch) على فلسطين .^١

وكانت للقيصر (يوسطنيان) صداقة مع رئيس آخر اسمه (أبو كرب) (Abochorabus) ، يقع ملكه في أعالي الحجاز وفي المناطق الجنوبية من فلسطين . عرف هذا الرئيس بالحزم والعزم فخافه الأعداء ، واحترمه الأتباع ، واتسع لذلك ملكه ، وتوسع سلطانه حتى شمل مناطق واسعة ، ودخلت في تبعيته قبائل عديدة أخرى على القانون الطبيعي في البادية الذي يحتم دخول القبائل طوعاً وكرهاً في تبعية الرئيس القوي .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقربه اليه وفي اكرامه له ، فترز له عن أرض ذات نخيل كثيرة ، عرفت عند الروم بـ (فوينيكون) (Phoinikon) (واحة النخيل) ، أو (غابة النخيل) . وهي أرض بعيدة . لا تبلغ الا بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، اذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ (بروكوبيوس) عدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا (الشيخ) عاملاً (فيلارخا) على عرب فلسطين .^٢

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلوات حسنة بالروم كذلك ، هو (امرؤ القيس) (Amorkesos) وكان (Amorkesos) في الأصل من عرب المناطق الخاضعة للفرس ، ثم هجر دياره لسبب لا نعرفه الى الأرضين الخاضعة لنفوذ الرومان ، وأخذ يغزو الاعراب ، حتى هابته القوافل ، فتوسع نفوذه ، وامتد الى العربية الصحيرية ، واستولى على جزيرة (تاران) (Iotaba) وترك رجاله فيها يجوبون له الجباية من السفن القادمة من الهند ، حتى حصل على ثروة كبيرة ، وعزم في سنة (٤٧٣ م) على ارسال الأسقف (بطرس) أسقف الاعراب التابعين له الى القسطنطينية ، ليتصل بالقيصر ، وليتوسط لديه هناك أن يوافق على تعيينه عاملاً (Phylarch) على الاعراب المقيمين في العربية الحجرية

Bulletin, Vol., XVI, Part : 3, P. 435, Muller, Fragmenta Historicorum, ١
Graecorum IV, 179.

Procopius, I, XIX. 2-10, Bulletin, Vol., XVI, 1954, P. 428, Musil, Hegaz, ٢
P. 307.

والخاضعين لنفوذ الروم مقابل دخوله في حلف معهم ، فاستجاب القيصر (ليون) (Leo) الى طلب (بطرس) ، فأرسل دعوة الى (امرىء القيس) لزيارة القسطنطينية ، فذهب اليها بالرغم من وجود شرط في معاهدة الصلح التي كانت قد عقدت بين القرس والروم لا يسمح بوجبه لعربي ما من سكنة المناطق الخاضعة لنفوذ الانبراطورية الساسانية بالذهاب الى مناطق الروم . ولما وصل الى القسطنطينية ، رحب به اليزنطيون ترحيباً جميلاً واستقبلوه استقبالاً حسناً . فأعلن هناك دخوله في التمتعانية . وأغدق عليه القيصر الهدايا والألطف ، ومنحه لقب (فيلارخ) (Phylarch) ، وثبته على المواضع التي أرادها وعلى جزيرة (تاران) (Iotaba) .^١

و كان دخل البيزنطيون كبيراً من الضرائب التي يجيئها . ووظفو الكمارك المقيمون في جزيرة (تاران) (Iotaba) . وكان لسؤلاء الموظفين واجب آخر ، هو واجب ملاحة التهريب والقبض على كل مهرب يريد ادخال التجارة خلسة الى بلاد الشام أو مصر ، ومصادرة الاموال التي يحملها معه . ولهم حق مكافأة المخبئين الذين يرشدونهم للقبض على المهربين .^٢

و (غابة الخيل) التي ذكرناها ، تجاور ارض قبيلة (معدّ) (Maddenol) ، كانت معدّ خاضعة لحكم حير . وقد رأينا كيف أن القيصر (يوسطنيان) توسط لدى (السمينع أشوع) ليوافق على تعيين (قيس) رئيساً على معدّ . وقد تمردت هذه القبيلة على (أبرهة) فسير اليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر (أبرهة) بكتابتها لهذه المناسبة : أدبها بقوة ، سيرها اليها في شهر (ذو ثبّان) من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معدّ ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن أدبت وخضعت ، اعترف (أبرهة) بحكم (عمرم بن ملدن) عليها ، وتراجعت القوة عنها .^٣

و (عمرم بن ملدن) ، أبي (عمرو بن المنذر) ، هو (عمرو بن المنذر) ملك الحيرة . وقد كانت (معدّ) في حكم ملوك الحيرة . وعلى هذا تكون هذه الغزوة (عمرو بن) التي قام بها (أبرهة) على قبيلة (معدّ) موجهة الى (عمرو

Malchus of Philadelphia, (Muller Ed.), pp. 112, Musil, Hegeraz P. 306

Bury, Later Roman Empire, Vol. II, P. 8, Runciman, P. 165

Le Muséon, LXVI, 1953, 3-4 P. 277, Ruckmans, 506

ابن المنذر) حليف الفرس . بمعنى أنه تعرض لجماعة كانت في جانب الساسانيين .
فهل الغزاة التي أشار إليها المؤرخ (بروكوبيوس) هي هذه الغزاة ؟

و (Maddenoi) هي قبيلة (معداية) (Ma'addaye) التي ذكرها (يوحنا
الأفسوسي) (John of Ephesus) مع (طياية) (طيايا) (طيايه) (Tayaye)
(Taiyaya) في كتابه الذي وجهه الى أسقف (بيت أرشام) (Beth Arsham) ،
ويظهر من هذا الكتاب أنها كانت مقيمة في فلسطين .

وقد تحدثتُ سابقاً عن ورود اسم قبيلة (معدّ) في نص الهارة الذي يرجع
عهده الى سنة (٣٢٨ م) حيث ورد أن (امرئ القيس بن عمرو) ملك العرب
ملك على (معدّ) وعلى قبائل أخرى ذكرها النص ، منها أسد ونزار ومنحج .
ويربط الاخباريون في العادة بين ملوك الحيرة وقبيلة معدّ ، وطالما ذكروا أن ملوك
الحيرة غزوا بمعدّ ، مما يدل على وجود صلة تاريخية متينة بين الحيرة وهذه القبيلة
المتبدية التي كانت تمنع في سكنها مع البادية .

ويظهر من روايات اهل الاخبار أنه قد كان للتبابعة شأن في تنصيب سادات
على معدّ . فهي تذكر أنهم هم الذين كانوا يعينون أولئك السادة ، فينصبونهم
(ملوكاً) على معدّ . وذلك بسبب تنازع سادات معد فيا بينهم ومحاسدهم وعدم
تسليم بعضهم لبعض بالزعامة . ولهذا كانوا يلجأون الى التبابعة لتنصيب (ملوك)
عليهم . يضاف الى ذلك أن معدّ كانت قبائل متبدية : منتشرة في أرضين
واسعة تتصل باليمن ، وقد كان أهل اليمن المتحضرون أرقى منهم ، وجيوشهم
أقوى وأنظم نسبياً من محاربي معدّ ومقاتليهم الذين كانوا يقاتلون قتال بدو ،
لا يعرفون تنظيماً ولا تشكيلاً ولا توزيعاً للعمل . وكل ما عندهم هو كرم
وفرّ ، اذا وجدوا خصمهم أشطر منهم وأقدر على القتال هربوا منه .

وقد منيت الانباطورية البيزنطية بانتكاسات عديدة بعد وفاة (يوسطنيان) ،
فاشدت الاضطهاد للمذاهب المخالفة للمذهب الارثوذكسي ، وعادت القوضى الى
الحكومة بعد أن سعى القيصر الراحل في القضاء عليها ، وتجددت الحروب بين
البيزنطيين والساسانيين ، وعاد الناس يقاسون الشدائد بعد فترة من الراحة لم تدم
طويلاً . وبعد حروب متتالية دخل الساسانيون بلاد الشام . وفي سنة (٦١٤ م) ،
احتل اتباع ديانة زرادشت عاصمة النصرانية القدس ، فأصبحت المدينة بخسائر كبيرة

في أبنيتها التاريخية وفي ثروتها الفنية التي لا تقدر بثمن . ثم أصيبت الانبراطورية
بنكبة عظيمة جداً هي استيلاء الفرس على مصر ، وبلوغ جيوش الساسانيين في
هذه الأثناء الساحل المقابل للقسطنطينية عاصمة الانبراطورية^١ .

لقد وقعت هذه الأحداث ونزلت هذه الهزائم بالروم في وقت كان أمر الله
قد نزل فيه على الرسول بلزوم ابلاغ رسالته للناس . والرسول إذ ذاك بمكة ،
يدعو أهلها الى دين الله . فلما جاء الخبر بظهور فارس على الروم ، فرح
المشركون ، وكانوا يحبون ان يظهر أهل فارس على الروم لأنهم واياهم أهل
أوثان . وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب .
فلقي المشركون أصحاب النبي ، فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ،
ونحن اميون . وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب ،
وانكم إن قاتلتمونا لننظفهم عليكم ، فأنزل الله : (ألم تغلب الروم . في أدنى
الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن
بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ؛ ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)^٢ .
وفرح المسلمون بتزول هذه الآيات المقوية للعزيمة وأيقنوا ان النصر لا بد أت ،
وانهم سينتصرون على أهل مكة أيضاً ويغلبونهم باذن الله . وخرج أبو بكر الى
الكفار (فقال : أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا . فلا تفرحوا ولا يقرن
الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ، صلى الله عليه
وسلم ، فقام اليه أبي بن خلف . فقال : كذبت يا أبا فضل . فقال له
أبو بكر ، رضي الله عنه : أنت أكذب يا عدو الله . فقال أناحك على عشر
قلائص مني وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن
ظهرت فارس على الروم غرمت الى ثلاث سنين . ثم جاء أبو بكر الى النبي ،
صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت إنما البيض ما بين
الثلاث الى التسع ، فزايده في الخطر وماده في الأجل . فخرج أبو بكر فلقي
أييأ ، فقال : لعلاك ندمت ؟ فقال لا . فقال : أزيدك في الخطر وأمادك في

Vasillev, PP. 193. ١

٢ سورة الروم ، الآية ١ وما بعدها ، تفسر الطبري (١١/٢١ وما بعدها) ، تفسير
القرطبي (١/١٤ وما بعدها) .

الأجل ، فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص الى تسع سنين . قال قد فعلت)^١ .

لقد وقعت هذه الهزائم الحربية الكبيرة في عهد القيصر (هرقل) (Heraclius) (٦١٠ - ٦٤١ م) . ففي عهده ، اقتطعت بلاد الشام ومصر من جسم الانبراطورية ، وهي أعضاء رئيسية في ذلك الجسم . غير ان طالع هذا القيصر لم يلبث ان تحسن بعد سنين من النحس ، فاستعاد تلك الأملاك في المعارك التي نشبت بين سنة ٦٢٢ وسنة ٦٢٨ م . في هذه الفترة نال هرقل أعظم نصر له في ثلاث معارك كبيرة . ولكن نصره الأكبر جاءه يوم قتل (كسرى أبرويز) صاحب هذه الفتوحات بيد ابنه (شيرويه)^٢ . فورد طائر السعد على القيصر بهذا الخبر المفرح ، ثم تحققت البشرية بالصلح الذي عقده بين القيصر وبين (شيرويه) . وفيه نزل الفرس عن كل ما غنموه ، ورضوا بالرجوع الى حدودهم القديمة قبل الفتح . فعادت الشام وفلسطين ومصر الى البيزنطيين ، وأعيد الصليب المقدس الى موضعه في القدس في موكب حافل عظيم^٣ .

وسر المسلمون وهم بالمدينة بانتصار الروم على الفرس ، وزاد أملهم في قرب مجيء اليوم الذي ينتصر فيه المسلمون على المشركين ، وقويت عزيمتهم في التغلب على قريش . (وأسلم عند ذاك ناس كثير)^٤ . وتضعفت معنويات قريش ، وغلب (أبو بكر) أيتاً) على الرهان ، وكسبه ، أخذه من ورثته ، لأنه كان قد توفي من جرح أصيب به ، فلم يدرك زمن طرد من تعصب له من بلاد الشام وخسارته الإبل التي تراهن عليها .

وشاء ربك ألا يكون النصر في هذه المرة لا للروم ولا للفرس ، بل للمسلمين . وشاء ألا يبقى الروم في بلاد الشام إلا قليلاً ، إلا سنين ، إذ تهاوت مدن بلاد الشام ثم مصر فشمال إفريقيا ، الواحدة بعد الأخرى ، في أيدي أناس لم يخطر ببال الروم أبداً أنهم سيكونون شيئاً ذا خطر في هذا العالم ، أعني بهم أبناء مكة ويثرب ومن تبعهم من أهل جزيرة العرب . تهاوت بسرعة عجيبة لا تكاد

١ . تفسير الطبري (١٣/٢١) ، تفسير القرطبي (١/١٤ وما بعدها) .
٢ . الطبري (١٠٨/٢ وما بعدها) .
٣ . Vasiliev, P. 198.
٤ . تفسير القرطبي (٢/١٤) .

تصدق ، وبطريقة تشبه المعجزات . وقد بدأ هذا الانهيار بكتاب يذكر أهل السيرة والاختبار ان الرسول أرسله الى (هرقل عظيم الروم) ، يدعو فيه الى الاسلام ، فإن أبى وبقي على دينه فعليه تبعته ، فلما لم يسلم ، جاءه الانذار ، قوات صغيرة لا تكاد تكون شيئاً بالنسبة الى جيوش الروم الضخمة ، أخذت تُمهّد الطريق لنشر الايمان في بلاد رفض حكامها الدخول فيه . ظهرت الارض الموصلة الى الحدود من المخالفين ، ثم أخذت تتحرض ببلاد الشام ، ولم يأخذ الروم ذلك التحرش مأخذاً جدياً ، اذ تصوّروه غزواً من غزو العرب المألوف يمكن القضاء عليه بتحريك عرب بلاد الشام من الغساسنة ومن لفّ لفهم عليهم ، أو يرشاه رؤسائهم بالهدايا والمال وتنصيبهم ملوكاً على عرب بلاد الشام في موضع الغساسنة كما كانوا يفعلون مع القبائل القوية الكبيرة التي كانت تتحرض بالحدود ، وينتهي بذلك الغزو وتصفو الأمور .

ولم يعلم البيزنطيون أن المسلمين يختلفون عن الجاهليين ، يختلفون عنهم في أن لهم عقيدة ورسالة ، وأن من يسقط منهم يسقط شهيداً في سبيل إعلاء كلمة ربه ، وله الجنة ، وأن من يعيش منهم وينجو فلن يركن الى الدعة والحياة الهادئة والرجوع الى البادية بل لا بد له من أحد أمرين : اما نصر حاسم ، واما موت شريف في سبيل الله ورسوله . وبقوا في جهلهم هذا الى أن نهتهم الضربات العنيفة التي وقعت بينهم وبين العرب في (أجنادين) (Gabatha) وفي (اليرموك) (Hieromax) بأن المعارك التي وقعت ليست غزواً من الغزو المألوف ، بل خطة مهيأة لطرد الروم الذين لا يؤمنون برسالة الرسول من كل بلاد الشام وما ورائها من أرضين . وعندئذ جمعوا جموعهم ، وألقوا قلوب (العرب المستعربة ، أي العرب النصارى القاطنين في بلاد الشام ، بالمال وباسم الدين ، وجعلوهم معهم وتحت قيادتهم في جيوشهم الضخمة لمقابلة المسلمين الذين لم يعرفوا الحروب الكبيرة ، ذات العدد الضخم من المحاربين ، والاسلحة المتنوعة الحديثة ، بالنسبة الى اسلحتهم المكوّنة من سيوف وسهام ورماح وحجارة وخناجر . وهنا وقعت غلطة فنية حربية أخرى من الروم ، اذ قابلوا المسلمين بجيوش ضخمة ، سيرها قوّاد كبار تعودوا الحرب بأساليبها النظامية وبالطرق المدرسية الموروثة عن الرومان ، وتزوّدوا بالخبرة الفنية العالية التي كسبوها من حروبهم مع الفرس ومع الاوربيين ، فظنوا ان الحرب مع

المسلمين شيئاً بسيطاً ، بل ابسط من البسيط ، حتى أن كبار القادة وجدوا أن من المهانة الاهتمام بأمر أولئك البدو الغزاة ، فتركوا الأمر لمن دونهم في الدرجات يديرونها مع العرب ، الذين أظهروا ذكاءاً فطرياً عظيماً في هذه الحروب ، بتجنبهم الالتحام بالجيوش ، إذ لا قبل لهم بمقاتلتها ، وبتخاذهم خطة المناوشات والكرّ والفرّ بقوات غير كبيرة العدد ، وبذلك تتوفر لهم السرعة في العمل ومباغتة الجيوش الضخمة من ورائها ومن مجنبتها ، وبغزو خاطف كالبرق يلقي الفزع في القلوب . وبذلك أفسدوا على الروم خططهم بالهجوم على العرب ، بجيوش نظامية كبيرة مُدرّبة على القتال يكون في حكم المحال بالنسبة للعرب الوقوف أمامها لو أنهم حاربوهم حربهم ، ووقفوا أمامهم وجهاً لوجه . وبركون العرب الى هذه الخطة المبتكرة ، وبمعاملتهم من خضع لهم واستسلم لأمرهم معاملة حسنة ، وبتحريض (العرب المستعربة) ، (العرب المنتصرة) ، وسكان بلاد الشام من غير الروم ، بل ومن الروم على الانضمام اليهم ، غلبوا البيزنطيين ، وحصلوا ما حصلوا عليه من أرضين .

وعند ظهور الاسلام كانت اليمن في حكم الساسانيين كما رأينا ، غير أن حكمهم لم يكن في الواقع حكماً تاماً فعلياً ، بل كان حكماً شكلياً اسمياً ، محصوراً في صنعاء وما والاها . أما الاطراف والمدن الاخرى ، فكان الحكم فيها لسادات اليمن من حضر ومن أهل وبر . وهو حكم نسميه حكم (اصحاب الجاه والنفوذ) . وقد شاء بعض منهم أن يظهر نفسه بمظهر الملوك المنفردين بالحكم والسلطان والجاه ، فلقبوا أنفسهم بلقب (ملك) وحملوه افتخاراً واعتزازاً ، ولم يكن أولئك الملوك ملوكاً بالمعنى المفهوم ، انما كانوا سادات ارض وقبائل ، تجمّلوا أنفسهم باللقاب الملك :

فقد نعتت كتب التواريخ والسير سادات حير في أيام الرسول : الحارث بن عبد كلال ، وشريح بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، و (النعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعاقر) ، و (زرعة ذو يزن) (زرعة بن ذي يزن) ب (ملوك حير) ، وذكرت أنهم أرسلوا الى الرسول رسولا يحمل اليه كتاباً منهم يخبرونه فيه باسلامهم ، وقد وصل اليه مكفله من تبوك ، ولقيه بالمدينة ، فكتب الرسول اليهم جوابه ، شرح لهم فيه ما لهم وما عليهم ، وما يجب عليه

مراعاته من أحكام .^١ ويذكر (ابن سعد) أن هذا الرسول هو (مالك بن مُرارة الرهاوي) (مالك بن مرة الرهاوي) ، وقد وصل المدينة في شهر رمضان سنة تسع ، وذلك بعد رجوعه من أرض الروم .^٢

ودَوَّان (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول أرسله الى (الحارث) و (مسروح) و (نعيم) أبناء (عبد كلال) من حمير . حمله اليهم (عياش ابن أبي ربيعة المخزومي) . وأوصاه بوصايا ليوصي بها أبناء (عبد كلال) ان أسلموا . منها أنهم اذا رطنوا (فقل ترجموا) ، حتى يفقه كلامهم . واذا أسلموا ، فليأخذ (قضيبهم الثلاثة التي اذا حضروا بها سجدوا . وهي من الأثل قضيب ملمع بياض وصفرة ، وقضيب ذو عجر كأنه خيزران ، والأسود البهيم كأنه من ساسم . ثم اخرجها فحرقها بسوقهم . فذهب اليهم ووجدتهم في دار . ذات ستور عظام على أبواب دور ثلاثة . فكشف الستر ودخل الباب الاوسط ، وانتهى الى قوم في قاعة الدار . ففعل بمثل ما أمره به الرسول .^٣

ويظهر من قوله : (فاذا رطنوا فقل ترجموا) ، أنهم لم يكونوا يحسنون عربية أهل مكة . وأنهم كانوا يتكلمون فيما بينهم بلهجاتهم الخاصة بهم . وأن معنى تحريق القضيب الثلاثة ، هدم ما كان لهم من عزة وسلطان وتكبر على الرعية ، لأن الاسلام قد أمر باجتناب ذلك . وبأن يكون الحكم للرسول وحده . ولما كانت تلك القضيب رمزا للحكم والسلطان ، وقد جعل الاسلام الحكم للرسول وحده ، لهذا أمر الرسول بكسر تلك القضيب ، وفي كسرها اشعار لهم بأن حكمهم القديم قد زال عنهم ، وأن الحكم الآن للرسول .

ويظهر من نص الكتاب الذي وجهه الرسول الى (زرعة بن ذي يزن) ، وفيه : (اما بعد ، فإن محمداً يشهد أن لا إله الا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من اول حمير ، وقتلت

- ١ الطبري (١٢٠/٣ وما بعدها) (دار المعارف) ، ابن الأثير (١٢١/٢) ، ابن خلدون (٥٢/٢) (القسم الثاني) (الوفود) ، الطبري (١٥٣/٣ ، ١٥٦) ، البلاذري ، فتوح (٨١) ، (اليمن) ، (وشرح ابن عبد كلال) ، (ونعمان فيل ذي يزن) ، (وزرعة ذي رعين) ، ابن سعد ، طبقات (٢٦٤/١) ، نهاية الأرب (١١٨/١٨) .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٣٥٦/١) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٣/١) .

المشركين الخ) ، ^١ أن (زرعة) هذا كان رأس حير ، والمطاع فيها ، ولهذا أرسل اليه رسولاً خاصاً به هو (مالك بن مرة الرهاوي) ، واستلم جواباً خاصاً من الرسول كتب باسمه ، ولم يذكر اسمه في الجواب الذي ارسله الى الباقرين بصورة مشتركة .

وذكر (ابن سعد) أن رسول الله كتب كتاباً الى (بني عمرو) من حير ، ولم يذكر من هم (بنو عمرو) ، وأشار الى أن في الكتاب : (وكتب خالد ابن سعيد بن العاصي) ، ^٢ ما يدل على أنه كان كاتب ذلك الكتاب . ويشير (ابن سعد) ايضاً الى ان الرسول ارسل (جرير بن عبد الله البجلي) الى (ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع) والى (ذي عمرو) ، يدعوها الى الاسلام ، فأسلما وأسلمت (ضريبة بنت ابرهة بن الصباح) امرأة (ذي الكلاع) . وتوفي رسول الله ، وجرير عندهم ، فأخبره (ذو عمر) بوفاة . ^٣

ويشير نسب (ذو الكلاع) المذكور الى انه من الأسرة التي كانت تحكم اليمن قبيل غزو الحبش لها . فهو من الأسر الشريفة الحميرية في اليمن . وقد عرف بـ (ذي الكلاع الأصغر) عند اهل الاخبار تمييزاً له عن (ذي الكلاع الأكبر) الذي هو في عرفهم (يزيد بن النعمان الحميري) من ولد (شهاب بن وحاطة بن سعد بن عوف بن علي بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر) .

وأما صاحبنا (ذو الكلاع) الأصغر الذي راسله الرسول ، وأسلم . فهو أبو (شراحيل سميع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر) . قال اهل الأخبار : والتكلم الحلف (وبه سُمي ذو الكلاع الأصغر ، لأن حير تكلموا على يده . أي تجمعوا ، الا قبيلتين : هوازن وحراز ، فانهما تكلمتا على ذي الكلاع الأكبر : يزيد بن النعمان) . ^٤

وذكر نسب (ذو الكلاع الاصغر) على هذا الشكل : (سميع بن ناكور

١ الطبري (٣/١٢١ وما بعدها) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٥) ، نهاية الأرب (١٨/١٦٨) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٨/٢٦٥ وما بعدها) .

٤ تاج العروس (٥/٤٩٦) ، (كلع) .

ابن عمرو بن يعفر بن يزيد بن النعمان الحميري) . و (يزيد) هذا هو (ذو الكلاع الأكبر) . وذكر ان (أبا شراحيل) هو الرئيس في قومه المطاع المتبوع ، أسلم في حياة النبي ، فكتب اليه النبي على يد جرير بن عبد الله البجلي كتاباً في التعاون على الأسود ومسيمة وطيحة . وكان القائم بأمر معاوية في حرب صفين ، وقتل قبل انقضاء الحرب ، ففرح معاوية بموته ، وذلك انه بلغه ان (ذا الكلاع) ثبت عنده ان علياً بريء من دم عثمان ، وان معاوية ليس عليهم ذلك ، فأراد التثيت عليه فعاجلته منيته بصفين وذلك سنة سبع وثلاثين^١ .

ويكون (ذو الكلاع) الأصغر ، قد تزوج بنتاً من بنات أبرهة هي (ضريبة)^٢ .

ونسب الى النابتة قوله :

أنا بالنجاشة مجليوها وكندة تحت راية ذي الكلاع

يريد تيمناً وأسداً وطياً اجلبوا الجيش على بني عامر مع أبي يكسوم وذو الكلاع كان معه أيضاً^٣ .

وذكر ان رسول الله كتب الى (معد يكرب بن أبرهة) ان له ما أسلم عليه من أرض خولان^٤ . ولم يشر (ابن سعد) الى بقية اسم أبرهة أو الى شهرته ، لذلك لا ندري إذا كان قصد (أبرهة) المعروف ، أم شخصاً آخر اسمه (أبرهة) . ولكتنا نعرف اسم قيل عرف بـ (معد يكرب) اسم والده (أبو مرة الفياض) ذو وزن ، كان متزوجاً من (ربحانة) ابنة (ذي جلدن) ، فولدت له (معد يكرب) المذكور . ثم انتزعتها منه (الأشرم) ، ونشأ (معد يكرب) مع أمه (ربحانة) في حجر (أبرهة)^٥ ، فلعله نسب اليه ، لذلك قال له (ابن سعد) (معد يكرب بن أبرهة) .

وكان للفرس وللجيل الجديد الذي ظهر في اليمن من تزواجهم باليانيين ، وهو

-
- ١ تاج العروس (٣٨٩/٥) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
 - ٣ تاج العروس (٤٩٦/٥) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
 - ٥ الطبري (١٤٢/٢) وما بعدها .

الجيل الذي عرف بـ (الأبناء) نفوذ كبير في اليمن ، وقد تحدثت عنه في الجزء السابق من هذا الكتاب . والى هذا الجيل أرسل الرسول (و برين يُحنس) ، يدعوهُ الى الإسلام ، فتزل على بنات (النعمان بن بزرج) فأسلمن ، وبعث الى فيروز الديلمي فأسلم ، والى مركبود وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه . وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه ^١ .

وقد كان الفرس الذين أقاموا باليمن مثل سائر الفرس على المجوسية ، ولما دخل أهل اليمن في الإسلام دخل بعض هؤلاء فيه . وأقام بعض آخر على دينه ، وفرض الرسول على من بقي على دينه جزية ^٢ . وقد نفر منهم بعض سادات اليمن من الأسر القديمة ، بسبب أنهم غرباء عن اليمن ، جاؤوا الى اليمن فتحكموها ، ولهذا انضم بعض منهم الى (الأسود) في ردتته . لأن (الأسود العنسي) ، كان كارهاً للأبناء ، حاقداً عليهم . يرى أنهم عصابة دخيلة ، استأثرت بحكم اليمن ^٣ . وقد شاءت الأقدار ان تكون نهايته بأيديهم . إذ كان قاتله منهم فكان قلبه كان يعلم بما سيفعلونه به ، ولهذا كرههم .

وكانت الأزدي من القبائل المعروفة في اليمن ، وقد جاء وفد منهم الى الرسول على رأسه (صرد بن عبد الله) في بضعة عشر ، فأسلم ، وأمره ان يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن ، وكان أول ما فعله انه حاصر (جرش) ، وكانت قد تحصنت وضوت اليها نخشم ، فلما وجد ان من العسير عليه فتحها بالقوة آوى الى جبل (كشر) ، فظن أهل جرش ، انه إنما ولى عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى اذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً . ثم أسلم من نجا منهم . وحكى الرسول لهم حى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس ، وللراحلة ، وللمثيرة تثير الحرث ، فن رعاهها من الناس سوى ذلك فإله سحت ^٤ .

وكتب الرسول كتاباً الى (خالد بن ضهاد الأزدي) ان له ما أسلم عليه من

-
- ١ الطبري (١٥٨/٣) .
 - ٢ البلاذري ، فوح (٨٣) .
 - ٣ البلاذري ، فنوح (١١٣ وما بعدها) .
 - ٤ الطبري (١٣٠/٣) وما بعدها ، (دار المعارف) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣٣٧ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٩٦/١٨ وما بعدها) .

أرضه ، وكان كاتب كتابه (أبيّ)^١ . وكتب مثل ذلك لجنادة الأزدي وقومه ، وكان كاتب هذا الكتاب (أبيّ) كذلك^٢ . وكتب الرسول الى (أبي ظبيان الأزدي) من (غامد) يدعو ويدعو قومه الى الإسلام . فأجابته في نفر من قومه بمكة . وكانت لأبي ظبيان صحبة ، وأدرك عمر بن الخطاب^٣ .

وذكر ان (ضهاد بن ثعلبة) الأزدي ، كان صديقاً للرسول في الجاهلية ، وكان يتطيب ويرقي من هذه الرياح ، ويطلب العلم ، فقدم مكة قبل الهجرة ، واجتمع بالرسول وكتبه ، ثم أسلم . وهو من (أزد شنوءة)^٤ .

ونجد (ابن سعد) يدون صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه لبارق من الأزد . نظم فيه حقوقهم مثل ان لا تُنجد ثمارهم وان لا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق . وغير ذلك . وكتب الكتاب (أبيّ بن كعب) ، وشهد عليه أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان^٥ .

ويجاور الأزد من الشرق (خثعم) و (ملحج) و (مراد) و (همدان) و (بلحارث) ، ويجاورهم في غربهم (بنو كنانة) و (بنو عك) . وأما من الجنوب ، فتتصل ديارهم بديار (همدان) و (حمير) .

وتجمع بعد وفاة النبي قوم من الأزد وبجيلة وخثعم ، عليهم حميضة بن النعمان وذلك ب (شنوءة) ، وعلى أهل الطائف (عثمان بن ربيعة) ، فبعث عليهم (عثمان بن أبي العاص) ، عامل النبي على الطائف بعثاً التقى بهم بشنوءة ، فهزموا تلك الجماع ، وتفرقوا عن (حميضة) ، وهرب وفسدت ثورة هؤلاء المرتدين^٦ .

وتمرد قوم^٧ من (خثعم) على (أبي بكر) حينما بلغهم نبأ وفاة الرسول وخرجوا غضباً الى (ذي الخلصة) يريدون إعادته ، فأمر (أبو بكر) (جرير

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٦٧) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٧٠) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٨٠) .
 - ٤ نهاية الأرب (٧ / ١٨) وما بعدها .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٨٧) .
 - ٦ الطبري (٣ / ٣٢٠) ، (دار المعارف) .

ابن عبد الله) ان يدعو من قومه من ثبت على أمر الله ، وان يستنفر (مقويهم) ، فيقاتل بهم خثعم ، فنفذ أمره فتبعهم وقتلهم وعاد الى الإسلام من تاب^١ . وكان الرسول قد بعث ستة تسع للهجرة (قطبة بن عامر بن حديبة) الى خثعم بناحية (تبالة) ، فتغلب عليهم^٢ .

وبقيت (همدان) قبيلة قوية من قبائل اليمن ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد ، أسلمت يوم مقدم (علي بن أبي طالب) الى اليمن على رأس سرية أمر الرسول بارسالها الى هناك . وقد فرح الرسول باسلامها ، وتتابع أهل اليمن على الاسلام^٣ .

وقد كانت همدان بطون عديدة ، من بطونها (بنو ناعط) ، ومن رجالهم (حمرة ذو المشعار بن أيفع) ، وكان شريفاً في الجاهلية ، والظاهر انه كان صاحب موضع (المشعار)^٤ . وهو (أبو ثور) . وقد وفد على الرسول ، ووفد معه (مالك بن نمط) و (مالك بن أيفع) ، و (ضمام بن مالك السلماني) ، و (عميرة بن مالك الحارفي) ، فلقوا رسول الله بعد مرجعه من تبوك ، وعليهم مقطعات الحبرات والعائم المعدنية ، برحال الميس على المهريّة والأرجية^٥ .

ويذكر أهل الأخبار . ان الوفد لما وصل المدينة ، ارتجز (مالك بن نمط) رجزاً ، ثم خطب بين يدي الرسول ، ذاكراً له ان نصيصة ، أي اختياراً أشرافاً من همدان ، يريد رجال الوفد ، قدمت الى الرسول ، وهي (من كل حاضر وباد) أي من أهل الحضر ومن أهل البادية ، ومن أهل مخلاف خارف ويام وشاكر ، ومن أهل الإبل والخليل ، قدموا اليه ، بعد ان عافوا الأصنام واعتنقوا الإسلام . فأنشئ الرسول عليهم ، وشكرهم وكتب لهم كتاباً ، وجهه (لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وحقاف الرمل مع وافدها ، ذي المشعار : مالك بن نمط ، ومن أسلم من قومه) ، ثم بين لهم ما عليهم وما لهم^٦ .

- ١ الطبري (٣٢٢/٣) .
- ٢ نهاية الأرب (١٧/٣٥٠) .
- ٣ الطبري (٣/١٣١ وما بعدها) .
- ٤ الاشتقاق (ص ٢٥١) .
- ٥ نهاية الأرب (١٨/١٠ وما بعدها) .
- ٦ نهاية الأرب (١٨/١١ وما بعدها) .

وورد ان (قيس بن مالك بن سعد بن لآي الأرحبي) قدم على رسول الله وهو بمكة ، فعرض رسول الله عليه الإسلام فأسلم ، ثم خرج الى قومه فأسلموا بإسلامه ، ثم عاد الى الرسول فأخبره بإسلامهم ، فكتب له عهداً على قومه (همدان) . وذكر ان رجلاً مرّ بالرسول ، وهو من (أرحب) من (همدان) ، اسمه (عبد الله بن قيس بن أم غزال) ، فعرض عليه الرسول الإسلام ، فأسلم ، فلما عاد الى قومه قتله رجل من (بني زُبَيْد)^١ ، وجاء وفد آخر من (همدان) الى الرسول فأسلم على يديه ، وكان فيه (حمزة بن مالك) من (ذي مشعار) ، وكان على الوفد مقطعات الحبرة مكففة بالدبياج ، فكتب الرسول لهم كتاباً ، وأوصاهم بقومهم من بقية بطون همدان^٢ .

وورد ان الرسول كتب لـ (قيس بن مالك بن سعد الأرحبي) ، عهداً ثبته فيه على قومه (همدان : أحورها وعربها وخلائطها ومواليها ان يسمعوا له ويطيعوا)^٣ . وذكر ان الأحور : قدم ، وآل ذي مران ، وآل ذي لعوة ، وأذواء همدان . وقيل : حمورها : أهل القرى . وأرى ان المراد بالأحور هم بقايا حمير الناطقون بالحميرية وهم سكان القرى والمدن . ذكروا وخصوا بالذكر ، لانهم اختلفوا عن غيرهم ممن كان يتكلم بلهجات أخرى ، ولهذا ميزوا عن (عربها) ، أي عرب همدان ، وهم الأعراب ، وعن الخلائط وهم الذين يكونون أخلط الناس وعن الموالي . وذهب بعض الباحثين ، الى ان (عربها) بالغين ، أي (غربها) ويراد بهم : أرحب ، ونهم ، وشاكر ووداعة ، ويام ، وموهبة ، ودالان ، ونخارف ، وعذر ، وحجور^٤ .

وأما (بنو زُبَيْد) ، فكان على رأسهم (عمرو بن معد يكرب الزبيدي) ، وكان قد قدم على الرسول في أناس من قومه ، ليعرض عليه الإسلام . فأسلم وأسلم من كان معه^٥ . وقد نعت بالشجاعة فدعي بـ (فارس العرب)^٦ ، وهو

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (٣٤٠/١ وما بعدها) ، نهاية الأرب (٩/١٨ وما بعدها) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٠/١ وما بعدها) .
 - ٣ نهاية الأرب (٩/١٨) .
 - ٤ الطبري (١٣٢/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
 - ٥ الاشتقاق (ص ٢٤٥) .
 - ٦ الطبري (١٣٤/٣ وما بعدها) ، ابن سعد ، طبقات (٣٢٨/١) .

لقب يلقب به الشجعان الفرسان . وأقام في قومه من بني زُبَيْد . وعليهم
 (فروة بن مسيك المرادي) ، الذي كان قد استعمله الرسول على مراد وزبيد ومنحج
 كلها : فلما توفي رسول الله ارتد عمرو بن معديكرب . ووُثب (قيس بن
 عبيد يغوث) على (فروة بن مسيك) ، وهو على مراد ، فأجلاه ونزل
 منزله^١ .

وكان (عمرو بن معديكرب) قد لقيَ (قيس بن مكشوح المرادي) حين
 انتهى إليه أمر رسول الله ، فعرض عليه ان يذهب معه الى رسول الله حتى يعلم
 علمه ، فإن كان نبيّاً ، فإنه لا يخفى أمره عليهم ، وإن كان غير ذلك علم
 علمه أيضاً وتركه ، فلم يأخذ (قيس) برأيه وسفته فكرته . ثم أوعد (قيس)
 (عمرو بن معد يكرب) يوم سمع بلها به الى الرسول وباعنتاه الإسلام . وقال :
 (خالفني وترك رأبي)^٢ .

وكان (فروة بن مسيك المرادي) من (بني مُراد)^٣ . وقد عدّه (ابن
 حبيب) في جملة الجرارين ، أي الذين قادوا الفأ^٤ . وقد كان مفارقاً للملك
 كِنْدَةَ ، ومعانداً لهم . وقد شهد يوم الرزم ، وهو يوم كان بين مراد قوم فروة
 وبين همدان ، انتصرت فيه همدان على مراد . وقد نسبوا شعراً لفروة ذكروا انه
 قاله يعتذر فيه عن الهزيمة التي أصابت مراداً في ذلك اليوم ، وكان الذي قاد
 همدان فيه (مراد الأجدع بن مالك)^٥ .

ولما وصل (فروة) المدينة ، نزل على (سعد بن عبادة) ، وقد أكرمه
 الرسول ، واستعمله على مراد وزبيد ومنحج ، وبعث معه (خالد بن سعيد بن
 العاص) على الصدقات^٦ .

والى بني الحارث بن كعب أرسل الرسول خالد بن الوليد يدعوهم الى الاسلام ،

-
- ١ الطبري (١٨٥/٣) .
 - ٢ الطبري (١٣٢/٣) وما بعدها) ، (قدوم وفد زبيد) ، نهاية الأرب (٨٥/١٨) .
 - ٣ الاشتقاق (ص ٢٤٦) .
 - ٤ المحبر (ص ٢٥٢) .
 - ٥ الطبري (١٣٤/٣) وما بعدها) ، (دار المعارف) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (٣٢٧/١) ، نهاية الأرب (٨٤/١٨) وما بعدها) .

أو البقاء على دينهم وهو النصرانية مع دفع الجزية . فأسلم أكثرهم ، وذهب وفد منهم فيه (قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصّة) ، و (يزيد بن عبد المدان) ، و (يزيد بن المحجل) ، و (عبد الله بن قريظ الزياتي) ، و (شدّاد بن عبد الله القناني) ، و (عمرو بن عبد الله الضبابي) ، فقابل الرسول ، وكان السواد غالباً على لونهم ، فقال الرسول لما رأيهم : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال من الهند ؟ . قيل : يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث ابن كعب^١ . وأمر رسول الله (قيس بن الحصين) على (بني الحارث بن كعب) . كما زار الرسول (عبدة بن مسهر الحارثي) في المدينة ، وأسلم على يديه^٢ .

وكتب الرسول لبني الضباب من (بني الحارث بن كعب) ان لهم سارية ورافعها ، لا يُحَاقِقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ مَا دَامُوا مُسْلِمِينَ ، وكتب كتابهم هذا المغيرة^٣ . وكتب لبني قنان بن وعلّة من بني الحارث كتاباً ان لهم محبساً وانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، كتبه له المغيرة ايضاً . وأمر الرسول كاتبه : الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، ان يكتب لعبد يغوث بن وعلّة الحارثي ، ان له ما أسلم عليه من أرضها وأشياؤها ، أي نخلها ما دام يقوم بما يفرضه الاسلام عليه من واجبات . وكتب له (علي بن أبي طالب) ان لبني زياد بن الحارث جَمَاءً وأذنية . وأمر رسول الله المغيرة بن شعبة ان يكتب ليزيد بن المحجل الحارثي ، ان له ولقومه نمرّة ومساقيها ووادي الرحمان من بين غابتها . وانه على قومه من (بني مالك) و (عقبة) لا يغزون ولا يحشرون^٤ .

وأمر الرسول ان يكتب كتاباً لـ (قيس بن الحصين ذي الغصّة) أمانة لبني آبيه بني الحارث ولبني نهد حلفاء بني الحارث ، يؤمنهم على أموالهم ما داموا مسلمين . وكتب كتاباً يشهد بإسلام (بني قنان بن يزيد) الحارثيين ، ويؤمنهم فيه ايضاً ان لهم مَدُوداً وسواقيه . وكتب مثل ذلك لعاصم بن الحارث الحارثي ،

- ١ الطبري (١٢٦/٣) وما بعدها (دار المعارف بمصر) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣٣٩ وما بعدها) .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٠) .
- ٣ ابن سعد (١/٢٦٧) وما بعدها) .
- ٤ ابن سعد (١/٢٦٨) .

ان له نجمة من راكس لا يُحاَقّه فيها أحد^١ .

وكان (عوز بن سُريِر الغافقي) في جملة من وفد من (غافق) على الرسول ، كما كان فيهم (جليحة بن شجار بن صُحار الغافقي)^٢ .

وقد آلم ولا شك خروج الحبش من اليمن البيزنطيين كثيراً ، وأصيبوا بخروجهم منها بخسارة من الوجة العسكرية والاقتصادية ، غير ان مما خفف من هذه المصيبة ان الفرس لم يكن لديهم آنذاك أسطول قوي يستطيع الهيمنة على مضيق المندب ، مدخل البحر الأحمر ، بل ولا سفن كافية يكون في وسعها حماية سواحل اليمن والعربية الجنوبية . لذلك لم يهدد دخولهم اليمن السواحل الافريقية المقابلة لسواحل جزيرة العرب وهي مهمة بالنسبة للروم ، ثم انهم عوّضوا عن خسارتهم الكبيرة الفادحة التي نزلت بهم باحتلال الفرس لبلاد الشام ، بطردهم الفرس واجلائهم عن كل الأرضين التي استولوا عليها وبإعادتهم (الصليب المقدس) الى مكانه . فرفعوا بذلك من معنوياتهم في الشرق الأوسط وفي افريقية .

وقد سُرّ اليهود من خروج الحبش من اليمن ومن استيلاء الفرس عليها . إذ صاروا في حكم حكومة لا تحقد عليهم ، حكومة لا يهملها أمر اليهود لعدم وجود علاقة لها بها . بل ربما ساعدتها لأنها تناهض الروم ، على عكس النصرانية التي كانت قد وجدت في الحبشة نصيراً ومساعداً ، لذلك قلّ أتباعها وانحسروا تدريجياً ، وبقيت متمركزة بمدينة نجران .

ولنجران وضع خاص . فقد تمتعت باستقلال ذاتي في الغالب . وقد تحرشتُ بتأريخها في مواضع متعددة من هذا الكتاب وبحسب المناسبات . ولما استولى الفرس على اليمن لم تدخل في طاعتهم ولم تخضع لحكم (عاملهم) ، بل أخذت تدير شؤونها بنفسها وبمجلس تنفيذي حصر أمور البلد في أيدي سادات ثلاثة اختص أحدهم بالحكم المدني ، واختص ثانيهم بالنظر في أمور الدين ، واختص الثالث في شؤون الأمن والدفاع عن المدينة . وقد عرفوا بالعاقب والسيد والأسقف . وقد قدموا على الرسول وباهلوه ؛ وكتب لهم كتاب الصلح وذلك سنة عشر للهجرة .

١ ابن سعد ، طبقات (٢٦٨/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٥٢/١) .

(عبهلة) الى صنعاء فأخذها ، وأخذ يدعو الناس اليه ، حتى قضى عليه .^١
وأرسل الرسول قبل وفاته بقليل (وبر بن يُحنس) الى (فيروز) و (جُشيش
الديلمي) و (داذويه الاصطخري) ، و (جرير بن عبد الله) الى (ذي
الكلاع) و (ذي ظليم) ، و (الاقرع بن عبد الله الحميري) الى (ذي زود)
و (ذي مران) وذلك للقضاء على (الاسود) وعلى من استجاب اليه ، ققتله .
قتله : (فيروز الديلمي) و (قيس بن مكشوح المرادي) ، وعاد من ارتد
واتبعه الى الاسلام ، ولم يكن الرسول قد فارق الدنيا بعد .^٢

وكان النبي حين وفاته قد نصب عمالاً على عمالات تمتد من مكة الى اليمن ،
فكان على مكة وأرضها (عتاب بن أسيد) و (الطاهر بن أبي هالة) . عتاب
على بني كنانة والطاهر على عك . وعلى (الطائف) وأرضها (عثمان بن أبي
العاص) و (مالك بن عوف النصري) . (عثمان) على اهل المدر ومالك على
أهل الوبر أعجاز هوازن . وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان بن
حرب . عمرو بن حزم على الصلاة ، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات ،
وعلى ما بين (رمح) و (زبيد) الى حد (نجران) خالد بن سعيد بن العاص .
وعلى همدان كلها (عامر بن شهر) ، وعلى (صنعاء) فيروز الديلمي يسأنده
داذويه وقيس بن المكشوح ، وعلى الجند يعلى بن امية ، وعلى مأرب أبو موسى
الأشعري ، وعلى الأشعرين مع عك الطاهر بن ابي هالة ، ومعاذ بن جبل يعلم
القوم ، يتنقل في عمل كل عامل . بقي الحال على هذا المنوال حتى نزا بهم
الأسود الكذاب .^٣

وورد في رواية اخرى ، ان رسول الله وجه (خالد بن سعيد بن العاص)
أميراً الى صنعاء وأرضها ، وذكر انه ولي (المهاجر بن ابي امية بن المغيرة
المخزومي) صنعاء ، فقبض وهو عليها . وقال آخرون انما ولي (المهاجر)
(أبو بكر) ، وولى (خالد بن سعيد) مخاليف اعلى اليمن . وذكر ايضاً ،
ان رسول الله ولي (المهاجر) كندة والصدف ، فلما قبض رسول الله ، كتب

١ الطبري (١٨٥/٣) ، (ثم دخلت سنة احدى عشرة) .
٢ الطبري (١٨٧/٣ ، ٢٢٧ وما بعدها) ، (بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي) .
٣ الطبري (٣١٨/٣ وما بعدها) .

ابو بكر الى (زياد بن لييد البياضي) من الانصار بولاية كندة والصدف الى ما كان يتولى من حضرموت . وولى المهاجر (صنعاء) . والذي عليه الاجماع ان رسول الله ولى (زياد بن لييد) حضرموت .^١

ولما ارتد (قيس بن عبد يغوث المكشوح) رده الثانية ، وعمل في قتل فيروز وداذويه وجشيش ، وكتب الى (ذي الكلاع) وأصحابه : (ان الأبناء نزع في بلادكم ، وثقلاء فيكم ، وأن تركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى من الرأي أن اقتل رؤوسهم ، وأخرجهم من بلادنا) ، كتب (ابو بكر) الى (عمير ذي مران) والى (سعيد ذو زود) والى (سميف ذي الكلاع) والى (حوشب ذي ظلم) ، والى (شهر ذي يناف) ، يأمرهم بالتمسك بالاسلام ، وبمقاومة (قيس) والمرتين . فكاتب (قيس) تلك الغالة السيارة الحجية ، وهم يصعدون في البلاد ويصوبون ، محاربين لجميع من خالفهم) (وأمرهم ان يتعجلوا اليه ، وليكون امره وأمرهم واحداً ، وليجتمعوا على نفي الابناء من بلاد اليمن) ، فاستجابوا له ، ودنوا من صنعاء . وعمد الى الحيلة لقتل (فيروز) ، و (داذويه) ، و (جشيش) . وتمكن من (داذويه) ، فقتله . فأحس (فيروز) و (جشيش) بالمكيدة ، فهربا الى (خولان) ، وهم اخوال (فيروز) ، وامتنع (فيروز) بأخواله . فثار (قيس) بصنعاء ، وجمع (فيروز) من تمكن جمعه من الابناء ، وكتب الى (بني عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) والى (عك) يستنصرهم ويستمدهم على (قيس) . فساروا اليه ووئبت (عك) وعليهم (مسروق) ، وسار (فيروز) بهم نحو (قيس) ، فهرب في قومه والتحق بفلول (العنسي) التي تذبذبت بعد مقتله ، وسار فيما بين صنعاء ونجران . وانضم الى (عمرو بن معديكرب) . وكان (عمرو) قد فارق قومه (سعد العشيرة) في (بني زيد) وأحلافها وانضم الى (العنسي) .

ولما ارسل (ابو بكر) مدداً الى من ارسله الى اليمن ، انضم اليه قوم من (مهرة) وسعد زيد والأزد وناجية وعبد القيس وحُدبان من بني مالك ، وقوم من العنبر والنخع ، وحير ، واختلف (قيس) مع (عمرو بن معديكرب) ،

١ البلاذري ، فتوح (٨٠) .

وإنقلّ من كان معها وأخذنا أسيرين الى ابي بكر ، فعفى عنها . وانتهت بذلك ردة هذين المرتدين .^١

ومن (بني خُشَيْن) (ابو ثعلبة الخشني) ، وقد وفد على الرسول وأسلم ووفد عليه نفر من (خشين) فتزولوا عليه وأسلموا وبايعوه ورجعوا الى قومهم .^٢

وكان من جملة وفود اهل اليمن الى الرسول ، وفد (بهراء) ، جاؤوا الى المدينة فأسلموا ، وقد نزولوا على (المقداد بن عمرو) .^٣

ومن قبائل اليمن قبائل (مذحج) ، وتقع منازلها جنوب منازل (خثعم) وفي شمال ديار (فهد) . ومن بطونها (الرهاويون) ، وهم حيّ من مذحج ، قدم وفد منهم على الرسول سنة (عشر) للهجرة فأسلموا . وقدم رجل منهم اسمه (عمرو بن سبيع) على الرسول فأسلم ، فعقد له رسول الله لواء .^٤

وأرسل (النخع) رجلين منهم الى النبي : (ارطاة بن شراحيل بن كعب) من (بني حارثة بن مالك بن النخع) و (الجهيش) واسمه (الأرقم) من (بني بكر بن عوف بن النخع) فأسلما ، وعقد لأرطاة لواء على قومه ، وجاء وفد آخر من وفد النخع من اليمن سنة احدى عشرة ، وهم مائتا رجل ، وكان فيهم (زرارة بن عمرو) ، وقيل هو (زرارة بن قيس بن الحارث بن عداء) ، وكان نصرانياً ، فأسلموا ، وبايعوا الرسول ، وكانوا قد بايعوا (معاذ بن جبل) باليمن .^٥

وقدم (جرير بن عبد الله البجلي) سنة عشر المدينة على رأس وفد من قومه (بجيلة) ، فأسلموا وبايعوا الرسول . وقدم وفد آخر منهم فيه (قيس بن عزة الأحسي) فأسلموا وعادوا الى ديارهم .^٦

-
- ١ الطبرى (٣٢٣/٣ وما بعدها) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٢٩) ، نهاية الأرب (١٨/٢٣) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٤ وما بعدها) .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣١) .
 - ٥ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٦) ، (زرارة بن قيس بن الحارث بن عددي بن الحارث ابن عوف) ، نهاية الأرب (١٨/١١٠) .
 - ٦ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٧) .

وجاء وفد (خثعم) وفيه (عثث بن زحر) و (أنس بن ملرك) ، فأسلموا ، وكتب النبي لهم كتاباً .^١ وقد دَوَّنَ (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول كتبه لـ (خثعم) (من حاضر بيثة وباديتها) ، وأن الذي كتبه له وشهد عليه (جرير بن عبد الله) ومن حضر .^٢ ودَوَّنَ (ابن سعد) صورة كتاب آخر ، أمر الرسول بكتابه لـ (مطرف بن الكاهن الباهلي) . جاء فيه : (هنا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ولمن سكن بيثة من باهلة) .^٣ ويظهر منه أن (مطرفا) المذكور وقومه من باهلة كانوا يقيمون اذ ذلك بـ (بيثة) . ودَوَّنَ (ابن سعد) صورة كتاب آخر كتبه الرسول الى (نهشل بن مالك الوائلي) من (باهلة) .^٤ ولم يذكر الكتاب مواضع منازلهم .

وكان من رجال (جُعْفَى) الذين وفدوا على الرسول : (قيس بن سلمة ابن شراحيل) ، و (سلمة بن يزيد) ، فأسلما ، وأستأذنا الرسول بالعودة الى منازلها . فلما كانا في الطريق ، لقيا رجلاً من اصحاب رسول الله ، معه ابل من ابل الصدقة ، فطردا الابل ، واوثقا الراعي . ومن (جعفي) ، (ابو سبرة) ، وهو (يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي) وابناه (سبرة) و (عزيز) ، قدم بهما أبوهما على الرسول ، وأسلموا .^٥

وأما (تهامة) ، فكان بها عكّ والأشعرون . وكانوا قد ارتدوا بعد سماعهم خبر وفاة الرسول ، ولكنهم غلبوا على امرهم ، وعادوا الى الاسلام .^٦ ولا توفي الرسول ، كان اول منتقض بعد النبي بتهامة عكّ والأشعرون ، وذلك أنهم حين بلغهم موت النبي ، تجمعوا واقاموا على الاعلاب طريق الساحل . فسار عليهم (الطاهر بن ابي هالة) ومعه (مسروق المكّي) ، فهزمهم وقتلهم كل قتلّة ، وعرفت الجموع من عكّ ومن تأشب اليهم : الأنخاب ، وُسُمي

- ١ ابن سعد ، طبقات (٣٤٨/١) .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .
- ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .
- ٥ نهاية الأرب (٨٣/١٨) وما بعدها .
- ٦ الطبري (٣٢٠/٣) وما بعدها .

الطريق الذي تجمعوا به (طريق الأخابث) .^١ وجاء وفد من الأشعريين ، فيه (أبو موسى الأشعري) ، ومعه رجلان من (عكّ) قدم في سفن في البحر ، ثم نزلوا الساحل وذهبوا برّآ الى المدينة ، فرأوا الرسول وبايعوه .^٢ وأرسلت (جيشان) نقرأ الى المدينة فيهم (ابو وهب الجيشاني) ، فأسلموا .^٣ وكان الحكم في حضرموت الى الاقيال كذلك . وفي ايام الرسول قدم عليه (وائل بن حجر) راغباً في الاسلام ، وكانت له مكانة كبيرة في بلده ، وقد نعته كتاب الرسول الذي كتبه اليه بـ (قيل حضرموت) .^٤ وقد كان لكندة والسكاسك والسكون والصدف اثر كبير في تأريخ حضرموت في هذا العهد الذي نتحدث عنه .

وذكر (ابن سعد) ، ان الرسول كتب الى اقيال حضرموت ، وعظائهم ، كتب الى (زرعة) و (فهد) و (البسي) و (البحيري) و (عبد كلال) و (ربيعة) و (حجر) .^٥ وكانت كندة هي القبيلة المنتفذة بحضرموت ، كان (الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي) من رؤساء هذه القبيلة البارزين ، وقد مدح الأعشى (قيس ابن معديكرب) بقوله :

وجلساء في عُمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف^٦

وكان (الأشعث بن قيس) على رأس وفد كندة الذي وفد على الرسول سنة عشر ، فأسلم مع قومه على يديه .^٧ وقد كان رجال الوفد قد رجّلوا جمعهم واكتحلوا ، ولبسوا جباب الحبرة قد كَفَّوْها بالحريز ، وعليهم اللديجاج ظاهر مخصوص بالذهب ، فأمرهم الرسول بترك ذلك . فألقوه .^٨

- ١ الطبري (٣٢٠/٣ وما بعدها) .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٨/١) ، نهاية الأرب (٢٣/١٨) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٣٥٩/١) .
- ٤ ابن خلدون (٥٦/٢ وما بعدها) ، (القسم الثاني) ، (الوفود) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٨٣/١ وما بعدها) .
- ٦ ديوان الأعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .
- ٧ الطبري (١٣٨/٣ وما بعدها) ، (علوم الأشعث بن قيس في وفد كندة) ، نهاية الأرب (٨٧/١٨ وما بعدها) .
- ٨ ابن سعد ، طبقات (٣٢٨/١) .

وذكر (أبو عبيدة) ، ان (الأشعث بن قيس) لم يكن كِنْدِيًّا ، وإنما صار في كِنْدَةَ بالولاء . وزعم ان والد (قيس) وهو (معديكرب) كان علباً من أهل فارس إسكافاً اسمه (سييخت بن ذكر) ، قطع البحر من توج الى حضرموت . وللقرزدي شعر في ذلك قاله في حق (عبد الرحمن) حين خالف عبد الملك بن مروان . كما زعم ان (وردة بنت معديكرب) عمّة الأشعث كانت عند رجل من اليهود ، فأتت ولم تخلف ولداً ، فأتى الأشعث (عمر بن الخطاب) يطلب ميراثها ، فقال له عمر : لا ميراث لأهل ملتين^١ . وقد عرف ملوك كِنْدَةَ الذين راسلهم الرسول بـ (بني معاوية)^٢ ، وهم الذين عرفوا بـ (بني معاوية الأكرمين) ، في شعر ملحوا به .

وكان نخوص (نخوس) ومشرح وجمد (حمدة) وأبضعة بنو معديكرب ابن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من الرؤساء الملقين بلقب ملك ، لأن كل واحد منهم قد اختص بواد ملكه ، ولقب نفسه بلقب ملك^٣ . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحياء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من بني عمرو بن معاوية وقد لعنهم النبي^٤ . وعرفوا بـ (بني وليعة) ملوك حضرموت وقد جاؤوا الى الرسول مع وفد كِنْدَةَ فأسلموا^٥ .

ووفد رئيس آخر من رؤساء حضرموت على الرسول اسمه (وائل بن حجر) ، ويظهر انه كان ذا منزلة كبيرة عند قومه ، فلما وصل المدينة أمر الرسول (معاوية بن أبي سفيان) باستقباله ويازره منزلاً خاصاً بـ (الحرة) ، وأمر بأن ينادى ليجتمع الناس : الصلاة جامعة ، سروراً بقدومه ، ولما أراد الشخصوص الى بلاده كتب له الرسول كتاباً دعاه فيه بـ (قيل حضرموت) ، وذكر فيه انه جعل له في يديه من الأرضين والحصون . ولما أمر الرسول معاوية بأن يتزل (وائلاً) بالحرة ، مشى معاوية معه ووائل راكب ، فقال معاوية : التي لي

- ١ ابن رسته ، الأعلاق (٢٠٥) .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/١) .
- ٣ البلدان (٢٩٤/٣) (حضرموت) ، ابن خلدون (٥٦/٢) ، (القسم الثاني) ، (الوفود) البلاذري ، فتوح (١٠٩) .
- ٤ ابن الاثير (١٥٨/٢) وما بعدها .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٣٤٩/١) .

نعليك أتوقى بهما من الحرّ ، فقال له : لا يبلغ أهل اليمن ان سوقة لبس نعل ملك ، ولما قال له : فأردفني ، قال : لست من أرداف الملوك ، ولكن إن شئت قصرت عليك ناقتي فسرت في ظلها ، فأتى معاوية النبي ، فأنبأه بقوله ، فقال رسول الله : إن فيه لعبيّة من عبيّة الجاهلية ^١ .

وكان (الأشعث الكندي) وغيره من (كندة) نازعوا (وائل بن حجر) على وادٍ بحضرموت فادعوه عند رسول الله ، فكتب به رسول الله ، لوائل ابن حجر . بعد ان شهد له أقيال حمير وأقيال حضرموت . فكتب له بذلك ، وأقره على ما في يده من الأرضين ^٢ .

ومن قرى حضرموت : تريم ومشطة والتنجير وتنة وشبوة وذمار ^٣ .

وكان الرسول قد استعمل (المهاجر بن أبي أمية) على كندة والصدف و (زياد بن لبيد البياضي) من (بني بياضة) على حضرموت ، و (عكاشة ابن محصن) على (السكاسك) و (السكون) ^٤ . ولما توفي الرسول ، خرج (بنو عمرو بن معاوية) ، الى محاجرهم ، ونزل (الأشعث بن قيس الكندي) محجرأ ، و (السمط بن الأسود) محجرأ ، وطابقت (معاوية) كلها على منع الصدقة وأجمعوا على الردة ، إلا ما كان من (شرحبيل بن السمط) وابنه ، فإنهما خالفوهما في رأيهم ، فهجم المسلمون على المحاجر ، وقتلوا الملوك الأربعة . وساروا على (الأشعث) ومن انضم اليه من (كندة) ، والتقوا بمحجر الزرقان فهزمت كندة وعليهم الأشعث : فالتجأت الى حصن النجير ، ومعهم من استغفروا من السكاسك وشذاذ من السكون وحضرموت والتنجير ، فلحققتهم جيوش المسلمين ، ومنعت المدد عنهم ، وأخضعت من بقرى (بني هند) الى (برهوت) ، وأهل الساحل وأهل (محأ) ، فخاف من بالحصن على نفسه ، واستسلم الأشعث وانتهت

١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٧/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٩/١) وما بعدها) .

٣ المحبر (ص ١٨٥) .

٤ المحبر (ص ١٨٦ وما بعدها) ، الطبري (٣٣٠/٣) ، (ذكر خبر حضرموت في ردتهم) .

فتته^١ . وأخذ الى المدينة ، فحقن (أبو بكر) دمه ، وزوجه أخته ، ثم سار الى الشام والعراق غازياً ومات بالكوفة^٢ .

وكان (شرحبيل بن السمط) الكندي مقاوماً للأشعث بن قيس الكندي في الرئاسة ، وانتقل العداء الى الأولاد^٣ .

وينسب (الصدف) الى الصدف بن مالك بن مرتع بن معاوية بن كندة (، فهم إذن من كندة .

وذكر ان من سادات حضرموت في هذا العهد : (ربيعة بن ذي مرحب الحضرمي) . وقد كتب اليه الرسول كتاباً أقره فيه وأقر أعمامه وإخوته وكل (آل ذي مرحب) على أرضهم وأموالهم ونخلهم ورقيقهم وآبارهم ونخلهم وشجرهم ومياهم وسواقيهم ونبتهم وشراجمهم وان (أموالهم وأنفسهم وزافر حائط الملك الذي كان يسيل الى آل قيس) هو لهم . وكتب الكتاب للرسول معاوية بن أبي سفيان^٤ .

وكان يتنازع على رئاسة مهرة رجلان منهم عند ظهور الاسلام ، أحدهما (شخريت) وهو من (بني شخراة) ، وكان بمكان من أرض مهرة يقال له : (جيتروت) الى (نضلون) . وأما الآخر فبالتجد . وقد انقادت مهرة جميعاً لصاحب هذا الجمع ، عليهم (المصبح) أحد بني محارب ، والناس كلهم معه ، إلا ما كان من شخريت ، فكانا مختلفين ، كل واحد من الرئيسين يدعو الآخر الى نفسه : وقد قتل (المصبح) في أثناء ردة مهرة ، أما شخريت الذي كان قد أسلم ثم ارتد ، فقد سلم على نفسه بعودته الى الاسلام ، وأرسل مع الأخماس الى (أبي بكر)^٥ .

ويذكر أهل الأخبار ان بعض رجال (مهرة) وفدوا على الرسول ، منهم (مهري بن الأبيض) ، وقد كتب له الرسول كتاباً ، و (زهير بن قرظم

١ الطبري (٣٣٢/٣ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، فتوح (١١٠) .

٣ البلاذري ، فتوح (١٤٣) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .

٥ الطبري (٣١٦/٣ وما بعدها) ، (ذكر خير مهرة بالنجد) .

ابن العُجَيل بن قباث بن قومي) ، وقد أسلم ، وكتب له الرسول كتاباً حين هم بالانصراف الى قومه^١ .

ومن مواضع (مهرة) (رياض الروضة) ، بأقصى أرض اليمن من مهرة ، و (جبروت) و (ظهور الشحر) و (الصبرات) و (ينعب) و (ذات الحيم)^٢ .

وأما عمان ، فكان المتنفذ والحاكم فيها (الجلندي بن المستكر) ، وكان قد نصب نفسه ملكاً عليها ، ويفعل في ذلك فعل الملوك ، فيُعشّرُ التجار في سوق (دبا) و (سوق صحار) . وكانت سوق دبا من الأسواق المقصودة المشهورة ، يأتي اليها البائعون والمشترون من جزيرة العرب ومن خارجها ، فيأتيها تجار من الهند والهند والصين^٣ .

وورد في باب الرسل الذين أرسلهم رسول الله الى الملوك، انه أرسل (عمرو بن العاص) الى (جيفر بن جلندي) و (عباد بن جلندي) (عبيد) (جيفر بن جلندي بن عامر ابن جلندي) (عيلنا) الأزديين صاحبي عمان^٤ . مما يدل على انها كانا هما الحاكمين على عمان في هذا الوقت . وتعني لفظة (جلنداء) الواردة في شعر الأعشى في مدح (قيس بن معد يكرب) (الجلندي) صاحب عمان^٥ . وتذكر الروايات ان (جيفر) ، كان هو الملك منهما : وكان أسن من أخيه^٦ .

وكان يُسامي (الجلندي) (ذو التاج) (لقيط بن مالك الأزدي) ، وقد ارتد وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ : وغلب على عمان ، والتجأ (جيفر) و (عباد) الى الجبال . فأرسل (أبو بكر) اليها مدداً ، فتغلبا عليه وعلى من

١ ابن سعد ، طبقات (٣٥٥١ وما بعدها) .

٢ الطبري (٣١٧/٣) .

٣ المحبر (ص ٢٦٥ وما بعدها) ، البلاذري (٨٧) ، (عمان) .

٤ الطبري (٦٤٥/٣) ، المحبر (ص ٧٧) ، الطبري (٢٩/٣) (دار المعارف) .

٥ وجلنداء في عمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيع

ديوان الأعشى (٣١٢) (طبعة الدكتور م . محمد حسين) ، القصيدة ٦٣ ،

البيت ١٥ ، البلاذري ، فوح (٨٧) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٥٢/٢) ، تاج

العروس (٣٢٣/٢) ، (جلد) .

٦ نهاية الأرب (١٦٧/١٨ وما بعدها) .

التف حوله^١ . ويظهر ان (لقيطاً) كان ينافس (آل الجلندي بن المستكبر) على السلطان ، وقد اعتصم (آل الجلندي) بالاسلام . وانتصروا بفضل المسد الذي وصل اليهم عليه . وقد قتل (لقيط) وسُبي أهل (دبا) .

وكلمة (الجلندي) على ما يظهر من روايات الأخباريين ليست اسماً لشخص ، وإنما هي لقب ، وقد تعني (لقباً) أو (قبلاً) أو (كاهناً) في لهجات أهل عمان . ويؤيد ذلك ما ورد من انه (ادعى به من كان نبيّاً)^٢ .

وارتدت طوائف من أهل (عمان) ، ولحقوا بالشحر ، وارتد جمع من (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة) ، فجهز عليهم (أبو بكر) (عكرمة بن أبي جهل بن هشام المخزومي) و (حذيفة بن حصن البارق) من الأزد ، فتغلبا عليهم جميعاً ، وعادوا عن ردتهم الى الاسلام^٣ .

ودون (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول كتبه لرجل من (مهرة) اسمه (مهري بن الأبيض) . كتبه له : (محمد بن مسلمة الأنصاري)^٤ .

وغالب أهل عمان من الأزد . وهم من (القحطانيين على رأي أهل الأنساب . من نسل (أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ) . وقد عرفوا بـ (أزد عمان) ، تمييزاً لهم عن أزد شنوءة وأزد السراة وعن أزد غسان . وذكر ان أصل كلمة (أزد) هي (أسد) ، وان (أسد) (أفصح من (أزد)^٥ . وان الأزد نزلت عمان بعد سيل العرم ، فغلبت على من كان بها من ناس^٦ . واما أزد (شنوءة) فقد اتجهوا نحو الشمال ، فذهب قوم منهم الى العراق ، ذكر انهم سُموا (شنوءة) لشأن ، أي تباغض وقع بينهم أو لتباعدهم عن بلدهم^٧ . وإذا أخذنا بهذا التفسير ، قلنا إنه يعني ان هذه الجماعة من الأزد ، كانت مستبديّة أعراية ، عاشت متباغضة يقاتل بعضها بعضاً ، وهذا ما دفع فلولها على الارتحال

-
- ١ الطبري (٢١٣/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، ابن الأثير (١٥٦/٢ ، ٢٥٢) .
 - ٢ الطبري (٣١٤/٣) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٨٧ وما بعدها) .
 - ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٦/١) .
 - ٥ اللسان (٧١/٣ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٨٣) ، تاج العروس (٣٨٩/٢) .
 - ٦ السالمي ، تحفة الأعيان (٧/١) .
 - ٧ تاج العروس (٨٢/١) .

عن مواضعها الاصلية وعلى الانتشار والتفكك والذهاب الى أماكن بعيدة عن مواطنها شأن الأعراب المتقاتلين المتخاذلين .

ثم نراهم يذكران ان أول من لحق بعمان من الأزد : (مالك بن فهم بن غانم بن دوس بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله ابن مالك) وكان سبب خروجه عن قومه الى عمان : ان كان له جبار وكان لجاره كلبية ، وكان بنو أخيه (عمرو بن فهم بن غانم يسرحون ويروحون على طريق بيت ذلك الرجل ، وكانت الكلبة تعوي عليهم وتفرق غنمهم ، فرماها أحدهم بسهم فقتلها . فشكا جبار مالك اليه ما فعل بنو أخيه ، فغضب مالك وقال : لا أقيم في بلد ينال فيه هذا من جاري . ثم خرج مراغماً لأخيه عمرو ابن فهم . ثم لحقت به قبائل أخرى من الأزد)^١ .

ويذكر الأخباريون ان (عمان) نسبة الى رجل اسمه (عمان بن قحطان) : وكان أول من نزلها بولاية أخيه يعرب ، وذكر أيضاً ان (عمان) اسم واد ، كان يتزل الأزد عليه حين كانوا بمأرب ، وان الفرس كانوا يسمون (عماناً) (مزون)^٢ . وذكر ان العرب كانت تسمي (عمان) المزون . وذكر ان (أردشير بابكان) جعل الأزد ملاحين بشحر عمان قبل الاسلام بستمائة سنة . وقيل ان المزون ، قرية من قرى عمان يسكنها اليهود والملاحون ليس بها غيرهم^٣ .

ونزل بعمان ناس من غير الأزد . منهم جمع من (بني تميم) ، ومنهم (آل جذيمة بن حازم) ، وقوم من (بني النبيت) من الأنصار ، ومنازلهم في قرية يقال لها (ضنك) من أعمال (السر) ، و (بنو قطن) من أهل يثرب كذلك ، ومنازلهم (عبرى) و (السليف) و (تنعم) من أرض السر ، وقوم من (بني الحارث بن كعب) ، وآخرون من (قضاعة) ، وفروع من (عبس)^٤ .

وكان في جملة من وفد من أزد عمان على الرسول ، (أسد بن يبرح

- ١ السالمي ، تحفة الأعيان (٩/١) .
- ٢ اللسان (٢٨٩/١٣) ، السالمي ، تحفة الأعيان (٧/١)
- ٣ اللسان (٤٠٧/١٣) .
- ٤ السالمي ، تحفة الأعيان (٩/١) .

الطاحي ، خرج في وفد ، فبايعوا الرسول ، وطلبوا منه ان يرسل اليهم رجلاً يقيم أمرهم ، فأمر رسول الله (مخربة العبدى) ، واسمه (مدرك بن مخلوط) بأن يذهب اليهم ، ويعلمهم القرآن والأحكام . وجاء بعده وفد آخر فيه (سلمة ابن عياذ (عباد) الأزدي)^١ .

ومن عمان (صحار) ، وقد اشتهرت بسوقها . و (قلها) ، وهي فريضة عمان على البحر ، اليها ترفأ أكثر سفن الهند^٢ . و (دبا) (دما) و (مهرة)^٣ . ويعقد سوق صحار في أول يوم من رجب ، ولا يختفر فيها بخفير ، ثم يرتحلون الى سوق دبا ، فيعشرهم (آل الجلندى)^٤ .

ودون (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه الى وفد (ثمالة) و (الحدان) . جاء فيه (هذا كتاب من رسول الله لبادية الأسياف ونازلة الأجواف مما حازت صحار) ، ثم ورد بعدها ما وضع عليهم الرسول من حقوق . وقد كتب الصحيفة (ثابت بن قيس بن شماس) ، وشهد عليها : سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة .

وأما البحرين ، فجل سكانها من (بني عبد القيس) وبكر بن وائل وتميم . وهم بين أهل شرك أو نصرانية وبين شراذم من يهود ومجوس . أما الوالي عليها في أيام ظهور الرسول ، فكان (المنذر بن ساوى)^٥ . وهو من بني عبد الله ابن زيد) من (بني تميم) . وكانوا ملوك المشقر بهجر ، وكانت ملوك الفرس قد استعملتهم عليها^٦ . و (عبد الله بن زيد) هذا هو (الأسبدي) ، نسبة الى قرية بـ (هجر) يقال لها (الأسبد) ، ويقال انه نسب الى (الأسبديين) ، وهم قوم كانوا يعبلون الخيل بالبحرين^٧ .

-
- ١ ابن سعد ، طبقات (٣٥١/١) ، نهاية الأرب (١١٥/١٨) .
 - ٢ السالمي ، تحفة الأعيان (٨/١) ، البكري ، معجم (١٠٩/٣) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٨٨) .
 - ٤ السالمي ، تحفة الأعيان (٨/١) .
 - ٥ ابن الأثير (٨٩/٢) ، الطبري (١٦١/٢ وما بعدها) ، البلدان (٧٤/٢) ، المحبر (ص ٢٦٥) .
 - ٦ المحبر (ص ٢٦٥) .
 - ٧ البلاذري ، فتوح (٨٩) ، تاج العروس (٥٦٤/٢) ، (السبئية) .

و (المشقر) حصن آخر من حصون البحرين المعروفة ، وهو من الحصون العادية لذلك سب بعض أهل الأخبار بناءه الى (سليمان بن داود) على عادتهم في ارجاع سب الأبنية العادية اليه في الغالب عند عجزهم عن معرفة أصل الأبنية . وذكر بعض آخر انه من بناء (طسم) . وقد كان لعبد القيس ، ولهم حصن آخر يليه اسمه (الصفا) قبل مدينة (هجر) . وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له (العين) . ويذكر أهل الأخبار ان (بني عبد القيس) لما جاؤوا بها (لإياداً) ، فأخرجوهم عنها قهراً ، وأخذوا مكانهم . وان (كسرى) حبس (تميم) بهذا الحصن ، وفيه فتك (المكعب) والي (كسرى) ، بيني تميم . وعرف الموضع لذلك بـ (فج بني تميم)^١ .

وقد ورد اسم هذا الحصن في شعر (لييد بن ربيعة العامري) ، إذ قال :

وأعوضن بالدوميّ من رأس حصنه وانزلن بالأسباب رب المشقر

وقد ذكر شارح الديوان ان الشاعر (لييد) قصد بالدوميّ ملك دومة الجندل . وان المشقر حصن بالبحرين . (قال أبو عمرو : وكان ربّه رجلاً من الفرس)^٢ . وجاء في هامش التحقيق ان (المشقر : قصر بالبحرين بناه معاوية بن الحارث بن معاوية الملك الكندي ، وكانت منازلهم ضرية ، فانتقل أبوه الحارث الى الغمر ، وبني ابنه المشقر ، وقال ابن الأعرابي : المشقر بمدينة قديمة في وسطها قلعة ، وهي مدينة هجر)^٣ .

وتقع ديار (عبد القيس) الى الشمال من ديار (أزد عمان) ، وهي تشرف على الخليج ، وتمتد نحو الشمال حتى تصل الى منازل قبائل (بكر بن وائل) ، وقد خالطتها قبائل أخرى . وسكنت الى الغرب من ديار (عبد القيس) قبائل (تميم) ، التي تمتد ديارها موازية لديار (بني عبد القيس) الواقعة الى شرقها حتى تصل الى ديار (بكر بن وائل) وديار (أسد) التي تؤلف الحدود الشمالية الغربية لها . وأما القبائل النازلة الى الغرب من ديار تميم ، فهي : أسد وهوازن

-
- ١ وهناك مواضع أخرى عرفت باسم (المشقر) ، البلدان (٦١٥/٤) (طهران) ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد (٧٣) ، مراصد الاطلاع (١٢٧٥/٣) ، البكري ، معجم (١٢٣٢/٣) .
 - ٢ شرح ديوان لييد (ص ٥٦) .
 - ٣ شرح ديوان لييد (ص ٥٦) ، هامش رقم (١) .

و (غني) و (باهلة) ، وأما القبائل النازلة الى الجنوب من بلاد تميم ، فهي (أزد عمان) و (عبد مناة) و (ضبّة) .

ويظهر من دراسة الروايات التي يرويها أهل الأخبار عن هجرة القبائل ، ان (بني عبد القيس) ، لما جاؤوا الى البحرين ، كانت البلاد إذ ذاك لإياد ، فجلت إياد من البحرين ونزحت نحو العراق ، فكان ما كان لها من مواقف هناك مع الفرس^١ .

وسبب غدر (المكعب) ببني تميم ، هو وثوبهم على قافلة كانت محملة بالطرف والأموال أرسلها (هرز) عامل كسرى على اليمن الى كسرى ، فاغتاظ (كسرى) من ذلك ، وأراد ارسال جيش عليهم ، فأخبر ان بلادهم بلاد سوء ، قليلة الماء ، وأشير اليه ان يرسل الى عامله بالبحرين ان يقتلهم ، وكانت تميم تصير الى هجر للميرة . فلجأ العامل الى الغدر بهم ، فأمر مناديه ان ينادي لا تطلق الميرة إلا لتميم ، فأقبل اليه خلق كثير ، فأمرهم بدخول المشقر وأخذ الميرة ، والخروج من باب آخر ، فدخل قوم منهم فقتلهم . ثم أجهز على الباقيين ، وبعث بذراريهم في سفن الى فارس^٢ .

وذكر ان (المكعب) واسمه (فيروز بن جشيش) ، تحصن بـ (الزارة) وانضم اليه مجوس كانوا تجمعوا بالتطيف ، وامتنعوا عن أداء الجزية ، فحاصرها (العلاء) وفتحها في أول خلافة (عمر) . وفتح (العلاء) (السابون) و (دارين) في الساحل المقابل من الخليج^٣ .

وتميم من القبائل الكبيرة التي كان لها شأن عند ظهور الاسلام . وقد سكنت في مواضع متعددة من جزيرة العرب وفي العراق وبادية الشام . وكان من أشرافها عند ظهور الاسلام : عطارذ بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي ، والأقرع ابن حابس ، والزبرقان بن بسدر ، وعمرو بن الأهم ، وقيس بن عاصم^٤ ،

- ١ الأغانى (٢٣/٢٠) ، البكري (٦٧/١ ، ٨٢) ، البلاذري ، أنساب (٢٥/١) ، الجاحظ ، البيان (١٢١/١) .
- ٢ آثار البلاد (ص ٧٣) .
- ٣ البلاذري ، فتوح (٩٥ وما بعدها) .
- ٤ الطبري (١١٥/٣) ، (قدموم بني تميم ونزول سورة الحجرات) ، نهاية الأرب (٣٢/١٨ وما بعدها) .

وربيعة بن رفيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، ومالك بن عمرو ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس^١ ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، ورباح بن الحارث^٢ . و (سفيان بن الحارث بن مصاد)^٣ .

وكان (الزبيرقان بن بدر) على الرباب وعوف والأبناء ، وقيس بن عاصم على (مقاعس) والبطون ، و (صفوان بن صفوان) على (بهدي) ، و (سبرة بن عمرو) على (خضم) مسن (بني عمرو) . و (بهدي) و (خضم) قبيلتان من (بني تميم) . و (وكيع بن مالك) و (مالك بن نويرة) على (بني حنظلة) : (وكيع) على (بني مالك) و (مالك) على (بني يربوع) . ولما وقعت (الردة) ، ارتبك موقف زعماء (تميم) ، وكانوا متخاصمين غير متفقين فيما بينهم ، وبينهم تحاسد وتباغض ، منهم من أدى الصدقة ومنهم من امتنع ، وتخاصموا فيما بينهم بسبب ذلك . وزاد في ارتباكهم هذا قدوم (سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان) من الجزيرة ، وكانت ورهطها في (بني تغلب) تقود أفناء (ربعة) ، ومعها (الهذيل بن عمران) في (بني تغلب) و (عقة بن هلال) في النمر ، و (تاد) في إيراد ، و (السليل بن قيس) في (شيبان) ، و حاروا في أمرهم ، منهم من انضم إليها ومنهم من خالفها وقاتلها ، ثم اتجهت نحو (مسيلمة) باليامة وانفقت معه ، ثم غادرته راجعة الى قومها^٤ .

ولما امتنع (مالك بن نويرة) عن دفع الصدقة ، سار عليه (خالد بن الوليد) الى (البطاح) ، وكان قد فرّق قومه ، وأمرهم بعدم التعرض والمقاومة ، ولكنه قتل . وانتهى بذلك أمر تميم^٥ .

وكان (الاقرع بن حابس بن عقال) المجاشعي الدارمي في جملة المؤلفين

-
- ١ الطبري (١٥٧/٣) .
 - ٢ ابن سعد ، طبقات (٢٩٣/١) وما بعدها .
 - ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٧/٣) وما بعدها .
 - ٤ الطبري (٢٦٧/٣) وما بعدها .
 - ٥ الطبري (٢٧٦/٣) وما بعدها ، (ذكر البطاح وخبره) ، الميداني ، مجمع الأمثال (١٣٩/٢) ، العقد الفريد (٢٦٤/٣) ، زهر الآداب (٧٦١/٣) ، تاريخ خليفة بن خياط (٧٠/١) .

قلوبهم .^١ وهو من سادات تميم . وذكر انه كان على دين المجوس .^٢

ولقبيلة تميم صلوات بملوك الحيرة ، وقد كانت (الردافة) اليها . وهي مكانة ودرجة مهمة جداً ، لا تعطى الا للقبائل المتفذة القوية . ومع ذلك فقد وقعت بينها وبينهم خطوب ومعارك . لما في طبع القبائل من شق عصا الطاعة عند شعورها بوجود وهن في الحكم . وبأن في امكانها الانفراد بنفسها في الحكم . كما كانت لها صلوات متينة برجال مكة التجار ، ولها معهم اعمال وتجارة وعهود وحبال . لحماية قوافل قريش ولتأمين وصولها سالمة الى الاماكن التي كانت تقصدها .

ونجد تميماً تحارب (بكر بن وائل) ومن يشد ازرها ويعاونها من (الاساورة) وذلك يوم (الصليب) . وقد انتصر (بنو عمرو) وهم من تميم على (بني بكر) ، وقتل (طريف) (رأس الاساورة) .^٣ وقد كانت (بكر بن وائل) من القبائل المؤيدة للساسانيين . وكان الفرس يقومونهم ويجهزونهم . ويشرف على تجهيزهم عاملهم على (عين التمر) .^٤

وتظهر صلوات (تميم) الطيبة بقريش من اخيار اهل الاخبار عن تجارة قريش وعن الطرق التي كان يسلكها تجارهم لوصولهم الى الاسواق ، مثل سوق دومة الجندل والمشقر والاسواق الاخرى . لقد كانت الطرق المؤدية الى تلك الاسواق تمر بأرضين هي لحياء من تميم . ولم تكن هذه الاحياء تتعرض لتجار مكة او للتجار المتحالفين معهم والذين يتاجرون باسمهم ، بأي سوء . على العكس كانت تحترمهم وتقدم لهم المعونة ، لوجود حبال وعهود عقدها ساداتهم مع سادات قريش . ونظراً الى ما كان من حلف بين (كلب) و (تميم) ، فقد صار في وسع تاجر مكة ومن هو في حلقه او يتاجر بحماية تجار مكة ، المرور في منازل (كلب) بأمن وسلام .^٥

ومن ديار تميم (الحزن) ، وهو لـ (بني يربوع) . وهو مرتع من مراتع

١ تاج العروس (٤٤ / ٦) ، (الف) .

٢ الأعلام النفيسة (٢١٧) .

٣ M. J. Kister, VIII, II, November, 1965, P. 114.

Kister, P. 114.

٤ النقائص (٥٨١) .

٥ Kister, P. 128.

العرب ، فيه رياض وقيعان . وقيل هو صقع واسع نجدي بين الكوفة وفيد .
 وقيل : هو قف غليظ ، ومربع من مربع العرب ، بعيد عن المياه ، فليس
 ترعاه الشياه ولا الحمر . فليس فيها دمن ولا ارواث .^١ وعرف بأنه بلاد بني
 يربوع . وهناك حزن آخر ما بين زباله فما فوق ذلك مصعداً في بلاد نجد . وفيه
 غلظ وارتفاع . وقد ورد ذكر (الحزن) في شعر للأعشى ، حيث يقول :

ما روضة من رياض الحزن ، معشبة نخضراء جاد عليها مُسبل هطل

وذكر انه موضع كانت ترعى فيه إبل الملوك ، وهو من ارض (بني اسد) .^٢
 وكانت قوافل قريش اذا قصدت (دومة الجندل) ، وسلكت السبل التي تمر
 بـ (الحزن) ، فانها تكون آمنة مطمئنة ، لانها تمر ببلاد مضر . ولا يتحرض
 مضري بمضري . وكانت اذا عادت وأرادت سلوك مواضع الماء ، مرت بديار
 كلب ، فتكون عندئذ آمنة مطمئنة ، لأن لكلب حلفاً مع (تميم) و (تميم)
 من مضر ولها صلوات وعلاقات بمكة . واذا مرت بحزن اسد ، فانها تكون آمنة
 كذلك ، لأن (بني اسد) من مضر . واذا دخلت ديار (طيء) ، صارت
 آمنة ايضاً ، لأن لطيء حلفاً مع بني اسد .^٣

ويظهر انه قد كانت لتميم صلوات بقريش وبمكة تعود الى ايام سابقة على
 الاسلام . اذ نجد في روايات اهل الاخبار ان نقرأ منهم كانوا يذهبون الى مكة
 ومنهم من كان يذهب اليها للتجارة . فقد ذكر ان تميمياً كان متجره بمكة ، وقد
 اختلف مع (حرب) ، فاعتدى عليه (حرب) . فذهب التميمي الى (بني
 هاشم) واستجار بهم ، فأجاره (الزبير بن عبد المطلب) ، رئيس (بني هاشم) ،^٤
 وذكر ان نقرأ من (بني دارم) كانوا في جوار رجال من (بني هاشم) .^٥
 بل يظهر انه قد كان لهذه القبيلة علاقة بمكة نفسها وبسوق عكاظ . وهو

١ اللسان (١١٣/١٣) ، (حزن) ، تاج العروس (١٧٤/٩) ، (حزن) .

٢ اللسان (١١٣/١٣) ، (حزن) ، تاج العروس (١٧٤/٩ وما بعدها) ، (حزن) .

٣ المرزوقي ، الأمكنة (١٦٢/٢) .

٤ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (٤٦٥/٣) ، ابن عساكر ، تاريخ ، (٣٢٩/٧) .

Kister, P. 130.

سيرة ابن دحلان (٢٢/١) .

Kister, P. 131.

سوق مهم تفصله قريش ، وكانت تتحكم في شؤونه . فلتميم صلة بـ (الإفاضة) ، ولما صلة بالحكومة في سوق عكاظ ، وقد ذكر اهل الاخبار اسماء عدد من حكام تميم حكموا بعكاظ . وكانت هي وقريش وكنانة ، تدبر مراسم الحج وتحافظ على شعائره . مما يدل على انها كانت ذات صلة قديمة بمكة ، ولا سيما بعض احياء منها ، مثل (بنو دارم) ، الذين ظهروا على أكثر احياء تميم . ولعل ابتعادها عن مكة وارتحال احيائها الى مواطن بعيدة عن مكة ، قد باعد فيما بينها وبين قريش ، وقلل من صلاتها بهم .

وتتجلى هذه العلاقة في تزوج قريش من (تميم) ، مع ما عرف عن قريش من الامتناع من التزوج من غير قريش . وقد روى اهل الاخبار اسماء جماعة من اشراف مكة ، كانت أمهاتهم من (تميم) . ونجد في مكة رجالاً من تميم تحالفوا مع رجال من مكة . فصاروا من حلفائهم .^١

وقيام (تميم) بمهمة (الحكومة) في سوق عكاظ ، وبـ (الإجازة) ، يدل على اهمية مركز هذه القبيلة بالنسبة لقريش . وما كانت قريش تعطي (الإجازة) لتميم ، لولا ما كان لها من نفوذ ومن علاقات طيبة بقريش . وقد افتخر (بنو تميم) ، بالحكومة في (عكاظ) وبالإجازة في الجاهلية وفي الاسلام .^٢

وكان (بنو عبد القيس) من قبائل البحرين المتفذة . وكانت غالبيتهم على النصرانية ، ومنهم كان (الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلي) ، الذي قدم في وفد عبد القيس الى الرسول ، فأسلم على يديه . وقد رفض الدخول فيما دخل فيه قومه من الردة عن الاسلام والعودة الى النصرانية وتأييد (الغرور) : المنذر ابن النعمان بن المنذر .^٣ وكان في جملة الوفد الذي قدم على الرسول عام الفتح : (عبد الله بن عوف الأشج) و (منقذ بن حيان) ، وهو ابن اخن الأشج ، فأسلما وعادا الى ديارهما .^٤

ودون (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول وجهه الى (الأكبر بن عبد القيس) . ولم يشر الى المراد من (الأكبر بن عبد القيس) . ومما جاء فيه

١ المصعب الزبيري ، نسب قريش (٢٦٧) ،
Kister, P. 157
٢ Wellhausen, Peste, S., 57, Ginebaum, Mohammadan Festivals, P. 32. F.,
Kister, P. 155.

٣ الطبري (١١٣٦/٣) ، (قدوم الجارود في وفد عبد القيس) ،
٤ ابن سعد ، طبقات (٣٤١/١) ، نهاية الأرب (٦٥/١٨) وما بعدها .

ان (العلاء بن الحضرمي) (امين رسول الله على برّها وبحرها وحاضرها وسراياها وما خرج منها ، وأهل البحرين خفراؤه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره في الملاحم) :^١

وكان الرسول قد ارسل (العلاء بن الحضرمي) سنة ثمان قبل فتح مكة الى (المنذر بن ساوي العبدي) ، يدعوه الى الاسلام ، فأسلم ، فهلك بعد وفاة الرسول بشهر ، وارتد بعده أهل البحرين .^٢ واجتمعت (ربيعة) بالبحرين وارتدت ، وملكوا عليهم (المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور) ، وكان يعاونه (الغرور بن سويد) اخي النعمان بن المنذر ، ويسمى (المنذر بن سويد بن المنذر) ،^٣ وكان رأس اهل الردة (الحطم بن ضُبَيْعَة) أخو بني قيس بن ثعلبة ، فجمع من اتبعه من بكر بن وائل ، حتى نزل القطيف وهجر ، واستغوى الحط ومن فيها من الزط والسيابجة ، وبعث بعثاً الى (دارين) وبعث على (جواثي) فحصرهم .^٤ وكان قد منى (سويد بن المنذر) بأن يجعله كالنعمان بالحيرة ، غير انه فشل وغلب المسلمون اهل الردة ، وقتل (الحطم) .^٥

وكان (المنذر بن النعمان) يسمى (الغرور) ، فلما ظهر المسلمون ، قال : لست بالغرور ولكني المغرور ، ولحق هو وفُلّ (ربيعة) بالخط ، فأناها (العلاء) ففتحها وقتل المنذر ومن معه . وذكر انه نجح فدخل الى (المشقر) ، ثم لحق بسليمة فقتل معه . وذكر انه قتل (يوم جواثا) ، وذكر انه استأمن ثم هرب فلحق فقتل .^٦ وقيل انه اسلم .

والمنذر بن ساوي هو رجل عربي من (بني تميم) من (بني دارم) على رأي اكثر أهل الاخبار . وقد ذهب بعضهم الى انه من (بني عبد القيس) . ولكن اكثرهم على انه (المنذر بن ساوي بن الاخنس بن بيان بن عمرو بن عبد الله ابن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي) .^٧ وكان هو المتولي على البحرين في ايام الرسول .

- ١ ابن سعد ، طبقات (٢٨٣/١) .
- ٢ الطبري (١٣٦/٣) وما بعدها ، (٣٠) ، البلاذري ، فتوح (٨٩) .
- ٣ الطبري (٣٠٩/٣٠٤٣) وما بعدها .
- ٤ وهو حصن بالبحرين ، البلاذري ، فتوح (٩٤) .
- ٥ الطبري (٣٠٤/٣) وما بعدها .
- ٦ البلاذري ، فتوح (٩٥) .
- ٧ أسد الغابة (٤١٧/٤) .

ونجد في طبقات ابن سعد صورة كتاب أرسله الرسول الى (المنذر بن ساوى) ، يذكر فيه ان رسل رسول الله قد (حدودك ، وانك مها تصلح أصلح اليك واثبتك على عملك وتنصح لله ولرسوله) ، كما نجد للرسول كتاباً آخر ، يخبر (المنذر) فيه انه قد بعث اليه (قدامة) و (أبا هريرة) ، و (فادفع اليها ما اجتمع عندك من جزية أرضك) . وأرسل كتاباً مثله الى (العلاء بن الحضرمي) يخبره فيه ، انه بعث الى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية ، فعجله بها . وبعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور) . وكاتب الكتابين أبي^١ . وكتب المنذر كتاباً الى الرسول ، جاء فيه : (لاني قرأت كتابك على أهل هجر ، فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه)^٢ .

وفي طبقات ابن سعد ، كتاب من الرسول ، ذكر انه أرسله (الى الهلال صاحب البحرين) ، فيه دعوة لهلل الى الاسلام والى عبادة الله وحده والدخول في الجماعة فان ذلك خير له^٣ . ويظهر ان هلالاً هذا كان أحد سادات البحرين في هذا الوقت ، وانه كان قد تأخر عن (الجماعة) أي قومه في الدخول في الاسلام ، فكتب الرسول له ذلك الكتاب .

وأما (هجر) ، فكان عليها عند ظهور الاسلام مرزبان يدعى (سبيخت) وإليه ذهب أيضاً العلاء بن الحضرمي يدعوه الى الاسلام ، فأسلم وأسلم معه جميع العرب وبعض العجم^٤ . وأما أهل الأرض هناك من اليهود والنصارى والمجوس ، فقد صالحوا العلاء على الجزية^٥ . وهجر سوق من أسواق الجاهلية ، يؤمها (بنو محارب) من (عبد القيس)^٦ . ويظهر من كتاب أمر رسول الله بتدوينه اليه ، انه لما أسلم وصدق أرسل الى رسول الله رسولاً يخبره بذلك اسمه (الأقرع) ، فكتب اليه الرسول كتاباً حملة اليه الأقرع صاحبه ، ويذكر رسول الله فيه انه

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٦/١) .

٢ نهاية الأرب (١٦٧/١٨) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٥/١) .

٤ البلدان (٧٤/٢) ، البلاذري ، فتوح (٨٩ وما بعدها) .

٥ أسد الغابة (٧/٤) ، فتوح البلدان (٨٦) ، البلدان (٧٢/٢) .

٦ صفة (١٣٦ وما بعدها) (ابن بليهد ١٩٥٣ م) .

علم بما جاء في كتاب (سبيخت) اليه ، وانه يحثه ويدعوه الى القيام بشعائر الاسلام^١ .

وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى ان هجرأ كانت قاعدة البحرين ، وقال بعض آخر انها اسم لجميع أرض البحرين . وقد اشتهرت بالتمر ، فقيل في المثل : كمبضيع التمر الى هجر ، كما عرفت بأوبثتها ، وقد روي ان الخليفة عمر قال : (عجبت لتاجر هجر وراكب البحر) ، كأنه أراد ذلك لكثرة وبائها ، فعجب من تاجر يذهب لذلك اليها ، كما عجب من راكب البحر ، لأنه سواء في الخطر . ويظهر انها كانت كثيرة المياه ذات مستنقعات ، لذلك تفشت بها الأوبئة . وذكر الأخباريون انها عرفت بـ (هجر) ، نسبة الى (هجر بنت المكف) ، وكانت من العماليق ، أو من العرب المتعربة ؛ وكان زوجها : محم ابن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين ، ويقال له : نهر محم وهناك عين ماء عرفت بعين هجر وعين محم^٢ .

وذكر أهل الأخبار ان (ملك هجر) ، ولم يشيروا الى اسمه ، كان قد سوّد (زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الخوية) ، ووقّده على النبي ، وانه كان في جيش (سعد بن أبي وقاص) الذي أرسله الى العراق ، فجعله (سعد) من (أمراء التعية)^٣ . ولعلمهم قصدوا بذلك المرزبان (سبيخت) ، الذي ذهب اليه (العلاء بن الحضرمي) بأمر الرسول ليدعوه الى الاسلام ، فأسلم على يديه . ويعرف الساحل المقابل لجزيرة (أوال) من جزر البحرين ، بـ (السيف) سيف البحر . والسيف في اللغة ساحل البحر^٤ . ويليها (الستار) : (ستار البحرين)^٥ .

و (كاظمة) جوّ على سيف البحر ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب^٦ .

- ١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٥/١) .
- ٢ تاج العروس (٦١٣/٣) وما بعدها ، البكري ، معجم (٣٤٦/٣) ، البلدان (٣٩٣/٥) ، المعاني الكبير ، لا بن فتيبة (٩٥٤/٢) .
- ٣ الطبري (٤٨٨/٣) .
- ٤ اللسان (١٦٧/٩) .
- ٥ صفة (١٣٦ وما بعدها) ، (طبعة ابن بليهد) ، اللسان (٣٤٥/٤) .
- ٦ اللسان (٥٢١/١٢) وما بعدها .

وعرفت بـ (كاظمة البحور)^١ . وقد أكثر الشعراء من ذكرها^٢ . وهي موضع مجهول في الوقت الحاضر ، يظن ان مكانه على ساحل الجون المقابل لموضع (الجهرة) . ويعرف ذلك الموضع بـ (دوحة كاظمة)^٣ .

وكان على الأبله وما والاها (قيس بن مسعود بن خالد) ، فلما علم بما فعله كسرى بملك الحيرة ، تفاوض سرأ مع بكر ، واتفق معها على مساعدتها . فلما انتهت معركة (ذي قار) لم يجرأ كسرى ان يلحق به أذى ما هو في أرضه ، فعمد الى الحيلة للانتقام منه ، بأن كتب اليه يطلب منه المجيء لرؤيته . فلما ذهب اليه ، قبض عليه وحبسه في قصره بالأنبار أو بساباط^٤ . وقد عدّه أهل الأخبار في المعدودين من (أجواد الجاهلية) . ذكروا انه كانت له مائة ناقه مُعدّة للأضياف إذا تقصت أتمها . وقد مدحه لذلك الشعراء . وعدّ من (ذوي الآكال) . وذكر ان كسرى كان قد أطعمه (الأبله) وثمانين قريسة من قراها^٥ .

وكان على الهامة (هوذة بن علي الحنفي) ، وكان ملكاً على دين النصرانية ، واليه أرسل رسول الله (سليط بن عمرو) (سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري) يدعوه الى الاسلام . فأرسل (هوذة) وفداً الى الرسول ليقول له : (إن جعل الأمر له من بعده أسلم ، وسار اليه ونصره ، وإلا قصد حربه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا كرامة)^٦ . ثم مات بعد قليل . وذكر انه كان شاعر قومه وخطيبهم ، وكانت له مكانة عند العرب^٧ .

وذكر انه كان من (قرآن) من مواضع الهامة ، وأهلها أفصح بنو حنيفة .

- ١ صفة (١٣٦ وما بعدها) ، (ابن بليهد) .
- ٢ البلدان (٤٣١/٤) ، (بيروت ١٩٥٧ م) ، صبح الأعشى (٢٤٧/٣) ، تقويم البلدان (٥٦/٥) ، البكري (١١٠/٤) ، شرح مقامات الحويري (٣٥٩/٢) ، (الشريشي) .
- ٣ التحفة النبهانية في تاريخ جزيرة العرب ، لخليفة بن أحمد آل نبهان (٥٧/٨) .
- ٤ ديوان الأعشى (القصيدة ٢٦) ، (ص ١٢٨) ، (طبعة كاير) ، Geyer
- ٥ المعجر (ص ١٤٣ وما بعدها ، ٢٥٣) .
- ٦ ابن الأثير (٨٩/٢) ، البلاذري ، فتوح (٩٧) .
- ٧ (سليط بن عمرو العامري) ، نهاية الأرب (١٦٦/١٨) .

وانه كان من وجهاء قومه . وقد نسب على هذه الصورة : (هوزة بن علي بن ثمامة بن عمرو الخنفي) من بكر بن وائل^١ . وورد ان تميماً كانت قد قتلت والد (هوزة) ، وان هوزة كان يكره بني تميم كرهاً شديداً حتى ان كسرى حين سأله عنهم أجابه : (بيني وبينهم حساء الموت ، فهم الذين قتلوا أبي) . وورد ان كسرى سأل هوزة عن عيشه وعن ماله ، فقال : (أعيش عيشة رغيدة ، واغزو المغازي ، واحصل على الغنائم)^٢ . ولكن الظاهر انه لم يكن كفوّاً لبني تميم . وان ملكه لم يتجاوز حدود اليمامة .

وزعم أهل الأخبار ان (كسرى) تَوَجَّهَ الى اليمامة ، أو انه سمع بجوده وكرمه ، فاستدعاه اليه ، ولما وجد فيه عقلاً وسياسةً ورجاحة رأي تَوَجَّه بتاج من تيجانه ، ولذا لقب هوزة بـ (صاحب التاج) ، وأقطعهُ أموالاً بـ (هجر) ، وكان نصرانياً . وقيل إن كسرى دعا بعقد من الدرّ فعقد على رأسه وكساه قباء ديباج مع كسوة كثيرة ، فمن ثم سُمِّي هوزة ذا التاج . وذكر ان سبب استدعاء كسرى له ، انه أكرم رجال العير التي حملت الطاف وهدايا وأموال (وهرز) التي أرسلها من اليمن الى (كسرى) ، وكانوا قد انتهبوا حتى لم يبق عندهم شيء ، فصاروا الى (هوزة) ، فأكرم مثواهم وآواهم وكساهم : وزوّدهم وحاهم ، وسار معهم اليه ، فأكرمه كسرى على النحو المذكور^٣ . وقيل إنه لم يكن صاحب تاج ، وإنما كان يضع على رأسه إكليلاً رصعه بأحجار ثمينة كأنه التاج تشبيهاً بالملوك^٤ .

ويروي أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى قال في حق هوزة :

له أكاليل بالياقوت فصلها صواغها لا ترى عيباً ولا طبعا

- ١ البكري ، معجم (ص ١٠٦٣) ، (وقران كرمان باليمامة . وهي وملهم لبني سحيم من بني حنيفة) ، تاج العروس (٣٠٩/٩) ، (قرن) .
- ٢ الكامل ، لابن الأثير (٣٧٨/١) ، المعارف ، لابن قتيبة (٩٧ وما بعدها) ، الأغاني (٧٥/١٦ وما بعدها) .
- ٣ الأغاني (٧٥/١٦ وما بعدها) ، العمدة ، لابن رشيقي (٢٠٦/٢) ، الطبري (١٦٩/٢ وما بعدها) (طبعة دار المعارف بمصر) .
- ٤ العقد المرید (٢٤٣/٢) .

وذكر انه كان أول معدّيّ لبس التاج ، ولم يلبس التاج معدّيّ غيره ^١ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن يوم الصفقة وعن يوم المشقر ، ان نفوذ (هوذة) لم يكن واسعاً بعيداً ، بل كان محدوداً بمحدود قبيلته ، وانه لم يكن في مستوى ملوك الحيرة أو آل غسان ، بل كان سيد قومه إذ ذاك ، حتى انه لما طمع في الجعالة التي كان الفرس يعطونها لمن يتولى خفارة قوافلهم الآتية من اليمن الى العراق أو الذهاب من العراق الى اليمن ، ووافق الفرس على ان يعطوه ما أراد ، وسار مع القافلة خفيراً لها من (هجر) حتى (نطاع) ، وبلغ (بنو سعد) ما صنعه (هوذة) ، خرجوا عليه وأخذوا ما كان مع الأساورة والقافلة وما معه ، وأسروه ، حتى اشترى منهم نفسه بثلاثمائة بعير ، وقد عُيّر في ذلك ، وتغنى شاعر (بني سعد) بذلك اليوم ، الذي سبق فيه هوذة ، وهو مقرون باليمن الى النحر ، فلما استلم بنو سعد الإبل المذكورة جاؤوا به الى اليمامة فأطلقوه ^٢ .

ويذكر أهل الأخبار ان هوذة سار مع من تبقى من الأساورة وبقية فلول القافلة الى (كسرى) ، ليخبره بما حدث له ، وبما فعلت به بنو تميم ، ودخل على ملك الفرس فأكرمه ، وأمر بإسقاطه بكأس من ذهب ، ثم أعطاه إياه وكساه قباء له ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم وحياه ثم عاد الى بلاده . ولو كان هوذة قد جاء كسرى بخبر انتصار واتقاد للقافلة جاز لنا أخذ هذا الوصف على محمل الصلح ، أما وأن الرواية هي في موضوع هزيمة وانحدار ، فإن من الصعب علينا التصديق بها ، ولا سيما وان ملوك الفرس كانوا أصحاب غطرسة وكانوا إذا جاءهم أحد بخبر هزيمة قابله بالازدراء والتبكيك ويأبزال اللعنات عليه في الغالب . وليس في هذا الموقف ما يدعو الى اسقاء هوذة بكأس من ذهب .

ويذكر أهل الأخبار ان اليمامة من نجد ، وقاعدتها (حجر) ، وكانت

١ وكل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة مجبوراً بذلك معا له الكليل بالياقوت زينها صواغها ، لا ترى عيباً ولا طبعاً الامالي ، للمرئضى (١٧٢/٢) ، ديوان الاعشى (٨٦) .
٢ الاغانى (٨/٥) ، الطبري (٥٨١/١) .

تسمى (جددا) في الأصل ، كما عرفت بـ (جو) . وذكروا أنها سميت (يمامة) نسبة الى (اليمامة بنت سهم بن طسم) ، وكانت منازل طسم وجديس في هذا المكان . وقد تناولتها الأيدي حتى صارت في أيدي (بني حنيفة) عند ظهور الاسلام في قصص من قصص أهل الأخبار^١ .

واليمامة من الأماكن الحصينة في جزيرة العرب . وبها (وادي حنيفة) . وبه مياه ومواضع كانت عامرة ثم خربت ، وهي اليوم خراب أو آثار . وقد اشتهرت قراها ومزارعها ، وكانت من أهم الأرضين الخاضعة لمملكة كندة . ويظهر ان سيلاً جارفاً أو سيولاً عامرة اكتسحت في الاسلام بعض قراها ، فهجرت إذ ترى في هذا اليوم آثار أسس بيوت مبنية من اللبن ومن الطين ، يظهر انها اكتسحت بالسيول وجاءت الرمال فغطتها بغطاء لتستر بقاياها عن رؤية النور^٢ . وقد ذكر أهل الأخبار ان اليمامة كانت من (أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخيلاً)^٣ . وبها مياه كثيرة . وقد عرف أهلها بالنشاط وبالتحضر ، وذلك بسبب وجود الماء بها ، إذ أغرى سحر الماء الناس على الإقامة عند مواضع المياه ، فنشأت مستوطنات كثيرة . ولا زال أهل اليمامة يعدون من أنشط سكان المملكة العربية السعودية .

وحدود اليمامة من الشرق البحرين ومن الغرب تنتهي الى الحجاز ، وأما من الشمال فتتصل بوادٍ متصل بالعذيب والقصية والنباج وسائر حدود البصرة وجنوبها بلاد اليمن . هذا على تعريف (ابن رسته) . وتبعد (جو) وهي الخضارم من حجر يوماً وليلة^٤ . ومن مواضع اليمامة (منفوحة) ، وهي قرية مشهورة ، كان يسكنها الأعشى ، وبها قبره . وهي لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة^٥ . ومن مواضع اليمامة الأخرى (المعلقة) من قرى (الخرج)^٦ .

١ البلدان (٤٤١/٥) ، فنوح البلدان (١١٨) ، البكري ، معجم (٨٣/١) ، المعاني الكبير لابن قتيبة (١٠٤١/٢) ، الهمداني ، صفة (١٤١) ، ناج العروس (١١٤/٩) وما بعدها (يعم) .

٢ Naval, R., 233.

٣ تاج العروس (١٥/٩) ، (يعم) .

٤ ابن رسته ، الاعلاق (١٨٢) ، ناج العروس (١١٥/٩) ، (يعم) .

٥ ناج العروس (٢٤٢/٢) ، (نفح) .

٦ تاج العروس (٢٥٠/١٠) ، (علا) .

ومن أبرز قبائل اليمامة في أيام الرسول ، (بنو حنيفة) . و (حنيفة) لقب (أثال بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) . ويذكر أهل الأخبار ، ان (الأحوي بن عوف) المعروف بجذيمة ، لقي أثالاً فضربه فحنفه ، فلقب حنيفة . وضربه أثال فحنفه جذيمة . فقال جذيمة :

فإن تلك خنصري بانث فإني بها حنفت حاملي أثال^١

وقد وفد وفد منهم ، فيه (مسيلمة بن حبيب) الذي عرف بـ (الكذّاب) لادعائه النبوة ، وكان قد طلب من الرسول ان يشركه معه في الأمر . وادعى النبوة ، ثم قتل . وكان يسجع السجعات مضاهاة للقرآن^٢ . وممن كان في هذا الوفد : (رحال بن عنقوة) ، وقد شهد لمسيلمة ان رسول الله أشركه في الأمر فافتن الناس به ، و (سلمي بن حنظلة السحيمي) و (طلق بن علي بن قيس) و (حمران بن جابر بن شمر) و (علي بن سنان) و (الأقرس بن مسلمة) و (زيد بن عبد عمرو) ، وعلى الوفد (سلمي بن حنظلة)^٣ .

ويذكر ان (سجاحاً) ، وهي (سجاح بنت أوس بن العنبر بن يربوع) التميمية التي تكهنت وادعت النبوة ، أتت (مسيلمة الكذّاب) ، وهو بـ (حجر) ، فتزوجته ، وجعلت دينها ودينه واحداً . وكان قد اتبعها قوم من (بني تميم) وقوم من أخوالها من (بني تغلب)^٤ .

ومن (بني حنيفة) ، (مُعَير) و (قُرَين) ابنا (سلمي) . وكان (مُعَير) أوفى العرب ، قتل أخاه (قرينا) بقتيل قتله من جيرانه^٥ . ومنهم (مجاعة بن مرارة بن سلمي) ، وكان رسول الله قد أقطعه (الغورة) و (غرابية) و (الحليل) ، ثم أقطعه (أبو بكر) (الحضرمية) ثم أقطعه (عمر) (الرياء) ، ثم أقطعه (عثمان) قطيعة أخرى^٦ .

١ تاج العروس (٧٨ / ٦) ، (حنف) .

٢ الطبري (١٣٧ / ٣) وما بعدها ، (دار المعارف) ، (فدوم وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣١٦) وما بعدها .

٤ البلاذري ، فتوح (١٠٨) .

٥ الاشتقاق (ص ٢٠٩) .

٦ البلاذري ، فتوح (٩٨ ، ١٠٢) وما بعدها .

ومن رجال اليمامة (محكم بن الطفيل بن سبيع) الذي يقال له (محكم اليمامة) ،
وقد ارتد وقتل مع من قتل من المرتدين^١ .

ومن قبائل اليمامة : بنو باهلة بن أعصر ، وبنو نمير وأحياء من تميم .
واستقرت بطون من بكر وعنزة وضبيعة في القسم الشرقي من اليمامة حتى البحرين ،
واتصلت منازل بطون منها بالعراق^٢ . كما كان بها (بنو هزان) ، وهم من
قطنة اليمامة القديمة : إذ نجد أهل الأخبار يرجعون تأريخهم بها الى أيام طسم ،
أي الى أيام العرب العاربة أو العرب البائدة الأولى . والظاهر ان أهل الأخبار قد
حاروا في أمر (هزان) . فجعلوهم من العرب البائدة ودعاهم الهمداني
بـ (هزان الأولى)^٣ ، وجعلوهم من اليمن ونسبوهم الى (قحطان) وجعلوهم
من (معدّ) . وهم الذين بقوا في ديارهم اليمامة الى الاسلام وفي الاسلام^٤ .
ويظهر من روايات أهل الأخبار ، انهم قصدوا قبائل مختلفة لا قبيلة واحدة هي
(هزان) التي ظلت باقية ولها بقية في اليمامة حتى اليوم . ولكننا نستبعد كون
القبائل الثلاث قبيلة واحدة في الأصل . بدليل ان أهل الأخبار يذكرون ان هزان
اليمانية الأصل كانت تقيم في اليمامة ، وان هزان (معدّ) هم من أهل اليمامة
أيضاً ، أي ان مواطن القبيلتين واحدة ، بل ان منهم من يرجع مواطن هزان الأولى
الى اليمامة كذلك . وهذا ما يحملنا على القول ان الهزانيين كلهم من قبيلة واحدة ،
بقيت فروعها في مواطنها القديمة اليمامة حتى اليوم . ولا قيمة لما يرويه أهل
الأنساب من سرد نسب كل قبيلة من القبائل الثلاث الى العرب البائدة أو الى
العرب العاربة أو الى العرب المستعربة .

والظاهر ان (بني حنيفة) ضغطوا على الهزانيين ، فاغتصبوا معظم أرضهم
باليمامة ، فقتل بذلك شأئهم ، وصاروا دون (بني حنيفة) في القوة . ومن
(بني هزان) تزوج الأعشى ، ثم أكرهوه على تطلقها ، فطلقها حين ضربه ،
وأصروا عليه بلزوم تخليه عنها ففعل ، فقال في ذلك شعراً ، رواه الرواة .

١ البلاذري ، فتوح (٩٨) ، الاشنقاق (٢١٠) .

٢ البكري ، معجم (٨٥/٤ وما بعدها) .

٣ الاكليل (٧٣/١) وما بعدها .

٤ العرب ، الجزء السابع ، السنة الثالثة ، نيسان ١٩٦٩م . الرياض .

ومنهم نفر أسروا (الحارث بن ظالم المرثي) ، ولم يكونوا يعرفونه ، وظنوه
صعلوكاً ، ثم باعوه الى نفر من القيسيين بزق خر وشاة ، وقيل من بني سعد .
ومنهم كان قاتل حيان بن عتبة بن جعفر بن كلاب . وهو المعروف بصاحب
الرداع^١ .

ومن مواطن (هزان) العلاة ، وهو جبل من جبال اليمامة ، وبرك ،
ونعام ، وشهوان ، وماوان ، والمجازة . ويلاحظ ان أخطأ من قبائل أخرى
جاورت (بني هزان) ، وسكنت معهم . منهم (بنو جرم) و (بنو جشم) ،
و (الحارث بن لؤي بن غالب بن فهر) من قريش ، و (ربيعة) وهم
من اليمن^٢ .

وأما منازل طيء عند ظهور الاسلام فجيلاً طيء : أجا وسلمى . غير ان
هناك بطوناً من طيء كانت قد انتشرت في أماكن أخرى ، فترلت في العراق
وفي بلاد الشام وفي أماكن أخرى في جزيرة العرب .

وطيء من القبائل التي كان لها شأن كبير قبل الاسلام . ولعلها كانت من
أشهرها وأعرفها قبيل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد . بدليل اطلاق السريان
كلمة (طيايا) على كل العرب ، من أي قبيلة كانوا . أي انها استعملت
عندهم بمعنى (عرب) ، وأصلها من اسم القبيلة التي نتحدث عنها وهي
قبيلة (طيء) .

ولم تكن طيء متصافية فيما بينها متحابية ، ف وقعت بين عشائرها حروب ، حتى
تداخل (الحارث بن جبلة) الغساني فيما بينها ، فأصلح حالها ، فلما هلك عادت
الى حربها ، فالتقت جديلة وغوث بموضع تحاربت فيه ، قتل فيه قائد بني
جديلة ، وهو أسيع بن عمرو بن لأم ، وأخذ رجل من سنبس أذنيه فخصف
بهما نعليه ، فعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لأم ، وعزم على لقاء
الغوث بنفسه ، وحلف ألا يرجع عن طيء حتى ينزل معها جليها أجا وسلمى ،
وتجبي له أهلها ، وكان لم يشهد الحروب المتقدمة ، لا هو ولا أحد من رؤساء
طيء ، كحاتم ، وزيد الخليل ، وغيرهم من الرؤساء . فلما اقبلت جديلة وعلى

١ الاشتقاق (٣٢١) ، العرب ، نيسان (١٩٦٩م) (ص ٦٦٥ وما بعدها) .

٢ العرب ، نيسان ١٩٦٩م (٢٦٢ وما بعدها) .

رأسها أوس بن حارثة بن لأم ، وبلغ الغوث جمع أوس لها ، اوقدت ناراً على ذروة أجا ، وذلك في اول يوم توقد فيه النار ، فأقبلت قبائل الغوث ، كل قبيلة وعليها رئيسها ، ومنهم زيد الخيل ، وحاتم ، وتلاحمت بجديلة في يوم اليحامين ويعرف ايضاً بقارات حوق ، الذي انتهى بهزيمة منكرة حلت بجديلة ، فلم تبق لها بقية للحرب ، فدخلت بلاد كلب ، وحالفتهم وأقامت معهم .^١

وكان سيد طيء في ايام الرسول ، (زيد الخيل بن مهلهل الطائي) .^٢ وهو من قدم على الرسول في وفد طيء . وقد قطع له الرسول فيداً وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، ولكنه توفي في موضع يقال له (فردة) من بلاد نجد من حمى علفت به اثناء اقامته بيثرب ، فلما يبلغ مكانه .^٣ وقد مدحه الرسول وأثنى عليه .^٤ و (زيد الخيل) الذي سمّاه الرسول (زيد الخير) ، هو من (بني نبهان) من (طيء) . وكان في الوفد رجال آخرون منهم : (وزر بن جابر ابن سدوس) من (بني نبهان) ، و (قبيصة بن الاسود بن عامر) من (جرم طيء) ، و (مالك بن عبد الله بن خيبري) من (بني معن) ، و (قُعين ابن خليف بن جديلة) .^٥

ومن (طيء) الرجل الذي ضرب بجوده المثل ، والذي لا زال الناس يذكرون اسمه على انه المثل الأعلى في الكرم ، وهو (حاتم الطائي) . مقرري الضيوف ومغيث الفقراء . فمدحه لجوده الشعراء : عبيد بن الابرص والناطقة الذيباني وبشر ابن ابي حازم وغيرهم . وكان مضربه ملجأ للمحتاجين ولمن يسلك الطريق يريد (الحيرة) . ونظراً لجوده وكرمه هابته العرب وصارت له دالة ومكانة عند ملوك الحيرة وعند آل غسان .^٦ وذكر انه (اذا أسر اطلق . ومرّ في سفره على عنزة وفيهم اسير ، فاستغاث به الأسير ، ولم يحضره فكأكسه فاشتراه من العتزين ،

- ١ ابن الأثير (٣٨٨/١) ايام العرب (٦٠) .
- ٢ المحبر (ص ٢٣٣) .
- ٣ الطبري (١٤٥/٣) .
- ٤ الاشتقاق (٢٣٦) ، الطبري (١٤٥/٣) ، (فتوم زيد الخيل في وفد طيء) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٣٢١/١ وما بعدها) .
- ٦ الأغاني (٩٣/١٦ وما بعدها ، ١٠٤ وما بعدها) ، العقد المرديد (٣٣٢/١) (طبعة اللجنة) .

وأقام مكانه في القدة حتى أدي فداؤه .^١

وقد توفي (حاتم الطائي) قبل الاسلام ، وانتقلت رئاسة طيء منه الى ابنته (عدي بن حاتم طيء) ، وكان نصرانياً يسير في قومه بالرباع ، وكان بمثابة الملك فيهم ، فلما جاءت خيل الرسول سنة تسع ببلاد طيء ، قرر اللحق بأهل دينه من النصارى بالشام ، ثم ترك الشام ولحق بالمدينة فأسلم وأكرمه الرسول .^٢ وعينه الرسول على صدقة طيء وأسد .^٣

وذكر ان (عمرو بن المسيح بن كعب بن عمرو بن عصر بن غنم) ، الذي كان ارمى العرب ، وهو الذي ذكره (امرؤ القيس) في شعره وأشار اليه ، هو من (طيء) ، كان قد ادرك الرسول ، ووفد عليه .^٤

وقد وقع بين طيء نزاع ادى الى وقوع حروب وأيام بينها ، ومن بينها يوم عرف بـ (يوم اليحامي) . وقد كان (الحارث بن جبلة الغساني) قد اصلىح بين قبائلها ، فلما هلك عادت الى حروبها . فالتقت جديلة والغوث ، فقتل (اسبع ابن عمرو بن لأم) ، وهو من جديلة وقائدها ، قتل في موضع يقال له (غرثان) ، وأخذ رجل من (سنيس) اذنيه فمخضف بها نعليه ، فغضبت (بنو جديلة) ، واقسم (اوس بن خالد بن لأم) على الانتقام من (الغوث) ومنهم (بنو سنيس) ، وأخذ في حشد قومه (جديلة) ، وبلغ الغوث ذلك ، فأوقدت النار على (اجأ) ، فأقبلت قبائل الغوث ، وعلى رأسها ساداتها ومنهم (زيد الخيل) و (حاتم الطائي) ، ووقع القتال بين جديلة والغوث في موضع يقال له (قارات حوق) ، فانهزمت جديلة ، وقتل فيها ابرح القتل ، حتى لم تبق لها بقية للحرب ، فدخلت بلاد كلب وحالفوا كلباً واقاموا معهم . وعرف هذا اليوم بـ (يوم اليحامي) .^٥

وكتب الرسول كتباً الى جماعة من (طيء) . منهم (بنو معاوية بن جرول) ،

- ١ الشعر والشعراء (ص ١٢٣) .
- ٢ الطبري (١١٢/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، نهاية الأرب (٧٧/١٨ وما بعدها) .
- ٣ الطبري (١٤٧/٣) ، (خروج الأمراء والعمال على الصدقات) ، ابن سعد ، طبقات (٣٢٢/١) (وفادات أهل اليمن : وفد طيء) .
- ٤ ابن سعد ، طبقات (٣٢٢/١ وما بعدها) .
- ٥ ابن الأثير ، الكامل (٢٦٦/١) .

و (عامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي) ، وجاعة من (بني جوين) ،
و (لبني معن) الطائين .^١

وتقع الى الشرق من ديار (طيء) منازل (اسد) . والى الشمال من ديار
اسد منازل (بكر) ، واما الى الجنوب من منازل (اسد) فديار (هوازن)
و (غطفان) . وتتأخم ديار اسد من الشرق قبائل (عبد القيس) و (تميم) .

ولما اخذت الوفود ترى على المدينة لمبايعة الرسول والدخول في الاسلام ، كان
وفد (اسد) في جملة الوفود التي بايعت الرسول ودخلت في الاسلام ، وذلك سنة
تسع للهجرة . وكان فيه (حضرمي بن عامر) و (ضرار بن الأزور) و (وابصة
ابن معبد) و (قتادة بن القايض) و (سلمة بن حبيش) و (طلحة بن خويلد)
و (نقادة بن عبد الله بن خلف) ، ومعهم قوم من (بني الزينة) وهم من
(مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن اسد) .^٢

وكتب رسول الله كتاباً الى (بني اسد) كتب له (خالد بن سعيد) ،
ورد فيه : (الا يقربن مياه طيء وارضهم فانه لا تحمل لهم مياههم ولا يلجن
ارضهم من اولجوا . وأمر عليهم (قضاعي بن عمرو) وهو من (بني عذر) ،
بأن جعله عاملاً عليهم .^٣ وكتب الرسول الى (حصين بن نضلة الأسدي)
(ان له اراما وكسة ، لا يحاقه فيها احد) .^٤

ومن ديار (بني اسد بن خزيمه) ، (قطن) ، وهو جبل بناحية (فيد)
به ماء . وأمر الرسول (ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي) بغزوه ، لما بلغه
ان (طليحة) و (سلمة) ابني (خويلد) قد سارا في قومها ومن اطاعهما
يدعوانهم الى حرب الرسول ، فذهب الى (قطن) ، ثم عاد ، ومعه ابل وشاء .^٥

وتقع الى الشمال الغربي من ديار (طيء) ، ديار (بكر) ، وهي (بكر
ابن وائل) . وهي قبائل ضخمة ذات فروع عديدة ، سكنت في مواضع عديدة
اخرى غير هذه المواضع .

١ ابن سعد ، طبقات (٢٦٩/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٩٢/١) وما بعدها ، نهاية الأرب (٣١/١٨) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٤/١) .

٥ نهاية الأرب (١٢٧/١٧) وما بعدها .

وذكر في خبر فتوح السواد ، ان (المثنى بن حارثة الشيباني) كان يغير على السواد ، فيبلغ (ابا بكر) خبره ، فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري : هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، وأثنى عليه . ثم ان المثنى قدم على (ابي بكر) ، فقال له : يا خليفة رسول الله ، استعملني على من اسلم من قومي اقاتل هذه الأعاجم من اهل فارس ، فكتب له ابو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل (خفان) ودعا فيه الى الاسلام فأسلموا . ثم ان ابا بكر امر (خالد بن الوليد) بالمسير الى العراق ، وكتب الى (المثنى بن حارثة) يأمره بالسمع والطاعة له وتلقيه . وكان (مذعور بن عدي العجلي) ، قد كتب الى ابي بكر يعلمه حاله وحال قومه ويسأله توليته قتال الفرس ، فكتب اليه يأمره ان ينضم الى خالد ويسمع له بالطاعة .^١

و (خفان)^٢ مأسدة وموضع أشب الغياض كثير الأسد ، أو اجمة قرب (الكوفة) .^٣

ونجد في موارد اخرى ان (المثنى بن حارثة الشيباني) و (سويد بن قطبة العجلي) ، وكلاهما من (بكر بن وائل) كانا يغيران على الدهاقين ، فيأخذان ما قدرا عليه . فاذا طلبا امعنا في البرّ فلا يتبعها احد ، وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة ، و (سويد) من ناحية (الأبله) . فكتب الى (ابي بكر) ، يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ، ويسأله ان يمدّه بجيش ، فكتب اليه (ابو بكر) يخبره انه مرسل اليه (خالد بن الوليد) وان يكون في طاعته ، فكره (المثنى) ورود خالد عليه ، وكان ظن ان ابا بكر سيوليّه الأمر ، ولكنه لم يتمكن ان يفعل شيئاً فانضم الى خالد .^٤

ومن (بني عجل) (فرات بن حيان للعجلي) ، كان دليل (ابي سفيان)

١ البلاذري ، فتوح (٢٤٢) .

٢ (وخفان كعفان) بنشديد الغاء ، ناج العروس (٩٣/٦) ، (خف) .

٣ قال الأعشى :

وما مختدر ورد عليه مهابة أبو أشبل أضحى بخفان حاردا

ناج العروس (٩٣/٦) ، اللسان (٨١/٩) ، (خفف) .

٤ الأخبار الطوال (١١١ وما بعدها) .

الى الشام .^١ وذلك ان قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون الى الشام حين وقعة (بدر) ، فكانوا يسلكون طريق العراق ، فخرج بهم دليلهم (فرات) ، في السنة الثالثة من الهجرة ، ومعه ابو سفيان وصفوان بن امية ، وحويطب بن عبد العزى ، وعبد الله بن ابي ربيعة ، ومعهم مال كثير ، فيه فضة كثيرة ، وهي اعظم تجارتهم ، فلما بلغوا موضع (القردة) ، وكان (فرات) قد سلك بهم على ذات عرق ، اعترض (زيد بن حارثة) القافلة ، وكان الرسول قد ارسله للتحرش بها ، يوم بلغه امر القافلة ، فهرب اعيانها واستولى زيد على العير ، وجاء بها الى الرسول . وأسر فرات ، فأسلم .^٢

ويذكر اهل الاخبار ان قبائل مضر كانت تنزع الى العراق ، وكان اهل اليمن يترعون الى الشام . وانه لم يكن احد من العرب اجراً على فارس من ربيعة وقد قيل لها لذلك : ربيعة الأسد ، وكانت العرب في جاهليتها تسمى : فارسُ الأسد .^٣

وقد قدم وفد من (بكر بن وائل) على الرسول ، فيه (بشير بن الخصاصية) و (عبد الله بن مرثد) ، و (حسان بن حوط) ، (خوط) ، فأسلموا وعادوا الى ديارهم .^٤ وذهب (حريث بن حسان الشيباني) في وفد من (بكر بن وائل) الى الرسول ، فأسلم على يديه .^٥ وذكر ان (عبد الله بن اسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سدوس) ، قدم مع الوفد المذكور ، وكان ينزل اليمامة ، فباع ما كان له من مال باليمامة واستقر بالمدينة .^٦

وذكر ان رسول الله كتب كتاباً الى (بكر بن وائل) ، فما وجدوا رجلاً يقرؤه حتى جاءهم رجل من (بني صبيعة بن ربيعة) فقرأه . وكان الذي اتاهم بكتاب رسول الله : (ظبيان بن مرثد السدوسي) .^٧

وخرج (خالد) الى العراق ، فمرّ به (فيد) و (الثعلبية) وأماكن اخرى

-
- ١ الاشتقاق (ص ٢٠٨) .
 - ٢ نهاية الأرب (٨٠/٩٧) .
 - ٣ الطبري (٤٨٧/٣) ، (دار المعارف) .
 - ٤ طبقات ابن سعد (٣١٥/١) .
 - ٥ طبقات ابن سعد (٣١٨/١) وما بعدها .
 - ٦ نهاية الأرب (٦٧/١٨) .
 - ٧ ابن سعد ، طبقات (٨١/١) ، وما بعدها .

منها (العذيب) و (خفان) ، ثم سار قاصداً (الحيرة) وهي اهم موضع للعرب في العراق . فخرج اليه ساداتها في هذا الوقت : (عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيان بن بقبيلة) ، وهو من الأزدي ، وصاحب القصر الذي يقال له : (قصر بني بقبيلة) بالحيرة . وهو من (بني سبين) . وكان من المعمرين .^١ و (هانيء بن قبيصة بن مسعود الشيباني) ، ويقال (فروة بن اياس) . وكان (اياس) عامل كسرى ابرويز على الحيرة ، بعد النعمان بن المنذر ، و (عدي ابن عدي بن زيد العبادي) ، وأخوه (عمرو بن عدي) ، و (عمرو بن عبد المسيح) و (حيرى بن أكّال) ، وهم نقباء اهل الحيرة . فصالحوه على دفع الجزية وعلى ان يكونوا عيوناً للمسلمين على اهل فارس .^٢

وفيد موضع مهم بطريق مكة في نصفها من الكوفة ، به حصن عليه باب حديد ، وعليه سور دائر . كان الناس يودعون فيه فواضل ازوادهم وما ثقل من امتعتهم الى حين رجوعهم . وذكر ان فيداً فلاة في الارض بين أسد وطيء في الجاهلية . فلما قدم (زيد الخيل) الفارس المشهور على رسول الله اقطعه فيداً . وذكر اهل الاخبار ، ان فيداً ، انما سميت فيد بفيد بن حسام اول من نزلها . والظاهر انها من المواضع اقدمية وقد ورد اسمها في الشعر الجاهلي والاسلامي .^٣

و (العذيب) ، اذ ذلك مسلحة كانت للفرس على طريق البادية ، ومن القادسية التي تبعد عن الكوفة (١٥) ميلاً الى العذيب (٦) اميال ، ويؤدي الطريق من العذيب الى البرية .^٤ وكان لبني تميم .^٥ وذكر اهل الاخبار ان (محم بن سويط الضبي) أختا بني صباع ، قاد الرياب كلها . وهو الرئيس الأول : اول من سار في ارض مضر برئاسة ، وغزا العراق وبه كسرى حتى بلغ العذيب . فجعلت الإبل تتهيب خريير الماء . ويظهر من شعر لبعض الضببيين ان العذيب كان احساءً ، يخرج الماء فيه من باطن الارض ويندفع مكوثاً خريراً ،

- ١ الاشتقاق (٢٨٥) ، الطبري (٣/٣٤٥ ، ٣٦٤) ، (دار المعارف) ، البلاذري ، فتوح (٢٤٤) .
- ٢ البلاذري ، فتوح (٢٤٤) ، الطبري (٣/٣٦٤) ، (دار المعارف) .
- ٣ تاج العروس (٢/٤٥٧) ، (فاد) .
- ٤ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٥) .
- ٥ تاج العروس (١/٣٧٠) ، (عنب) .

لذلك هابته الإبل ، فكانت تتخوف من الشرب منه .^١ وبعد العذيب ، نهاية حدّ نجد في الشمال .^٢

ويذكر (ابن رسته) ان (البطانية) ، هو (قبر العبادي)^٣ ، وسمّاه بعضهم (بطنان) . وذكر (اليعقوبي) ان هذا الموضع من ديار (بني اسد) .^٤ وكان للثعلبية شأن يذكر ، فقد ذكر انها كانت موضعاً معروفاً ، بل ذكر انها مدينة عامرة عليها سور وفيها حمامات وسوق ، وهي على ثلث الطريق للقادم من بغداد الى مكة . وقد صار لها شأن في صدر الاسلام فما بعد ، لأنها تقع على طريق التجارة والحاج . وهي على جادة مكة من الكوفة ، ومن منازل اسد ابن خزيمة .^٥

وكان اهل الحيرة قد تحصنوا بقصورهم : في القصر الابيض ، وهو قصر (النعمان بن المنذر) وقصر ابن بقليلة ، قصر العدسيين ، والعدسيون من (كلب) نسبوا الى امهم ، وهي كلبية ايضاً .^٦ وذكر انه كان في طرف الحيرة ، لبني عامر بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبي ، نسبوا الى جدتهم (عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي) ، وهي (أم الرماح) و (المشظ) ابني عامر المذموم .^٧

وعدة قصور الحيرة ثلاثة على ما ورد في بعض الروايات . وهي عدة الحيرة وملاجئها ايام الخطر ، فاذا سقطت ، سقطت الحيرة ، لأنها هي المكونة لها . وقد صالحت (خالد بن الوليد) لما وجدته ان ليس في استطاعتها الصمود امام المسلمين .^٨ ولم يكن لها على ما يظهر من روايات اهل الاخبار سور . ومن مواضع الحيرة ، (ربيعة بني مازن) ، لقوم من الأزدي من بني عمرو

-
- ١ المحبر (٢٤٨) .
 - ٢ شرح ديوان لبديد بن ربيعة العامري (٨١) .
 - ٣ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٥) .
 - ٤ اليعقوبي ، البلدان (٣١١) .
 - ٥ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٥) ، اليعقوبي ، البلدان (٣١١) .
 - ٦ البلاذري ، فتوح (٢٤٥) .
 - ٧ البلاذري ، فتوح (٢٨٤) .
 - ٨ الاخبار الطوال (١١٢) ، ناج العروس (١٦٥/٣) (حارة) .

ابن مازن من الأزدي ، وهم من غسان .^١ و (دير هند) ، لأم (عمرو بن هند بن ماء السماء) ، و (ربيعة بن عدي بن الذميل) من لحم .^٢

وقد هدمت قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر واستخدمت حجارتها وأبقاضها لبناء المسجد الجامع بالكوفة ولأبنية أخرى ، وقد عوض اصحاب القصور عنها . وفقاً لما جاء في (قراطيس هدم قصور الحيرة) .^٣ وقد هدم بعض الخلفاء العباسيين قصور الحيرة وأزالوا بذلك من معالمها . منهم الخليفة (ابو جعفر المنصور) ، فقد هدم (الزوراء) ، وهي دار بناها النعمان بن المنذر على ما يذكره اهل الاخبار .^٤

وذكر (اليعقوبي) ان الحيرة (هي منازل آل ببيعة وغيرهم) ، وان عليّة اهل الحيرة نصارى ، منهم من قبائل العرب من بني تميم ومن (سليم) ومن (طيء) وغيرهم . وان (الخورنق) بالقرب منها مما يلي المشرق ، وبينه وبين الحيرة ثلاثة اميال ، والسدير في بيرة .^٥

وكان الفرس يستعينون بعرب الحيرة في امر الترجمة فيما بينهم وبين العرب . ومن هؤلاء أسرة (عدي بن زيد العبادي) على نحو ما ذكرت . وترجمان كان يترجم له (رسم) اسمه (عبود) . وكان عربياً من اهل الحيرة .^٦ كما استخدم المسلمون ترجمة ، لترجموا ما كان يدور بينهم وبين الفرس من حوار ، او بينهم وبين من يقبضون عليه من اسرى الفرس ، من هؤلاء رجل اسمه (هلال الهجري) . واستخدموا كتبة لكتابة الكتب والخبار ، ذكروا منهم (زياد بن ابي سفيان) .^٧

وقد استعان الفرس ببعض (آل لحم) لمحاربة العرب ولاشغالهم ، في معارك

-
- ١ البلاذري ، فتوح (٢٨٠) .
 - ٢ البلاذري ، فتوح (٢٨٢) .
 - ٣ البلاذري ، فتوح (٢٨٤) .
 - ٤ تاج العروس (٢٤٦/٣) ، (زار) .
 - ٥ البلدان (٣٠٩) ، (مع ابن رسته) ، تاج العروس (٢٦١/٣) ، (سدر) .
(٣٣٢/٦)
 - ٦ الطبري (٥٢٤/٣) .
 - ٧ الطبري (٤٨٩/٣) .

صغيرة ، من هؤلاء (قابوس بن قابوس بن المنذر) ، وقد كلفه (الآزاذبة مرد بن الآزاذبة) بالذهاب الى (القادسية) لاشغال المسلمين ، وأن يكون للفرس كما كان آباؤه قبله من النصر والعون ، فنزل القادسية ، وكاتب بكر بن وائل ، بمثل ما كان النعمان يكتبهم به ، فلما بلغ خبره المسلمون حاصروه .^١

والقادسية موضع مهم جداً من الواجهة العسكرية ، وقد قال عنه الخليفة (عمر) في كتابه الذي وجهه الى (سعد) بأنه (باب فارس) وأجمع ابوابهم لمادتهم .^٢ وقد وضعوا ما بعده الحصون والقناطر والانهار لحماية مواقعهم من وقوعها في ايدي من قد يأتي اليهم من البادية . وأهله من العرب ، وكان الفرس قد اقاموا فيه مسالح عبثت بجنود من فارس ، للدفاع عن خطوطهم الامامية ، ولمشاغلة الغزاة الى حين وصول المدد الكبير .

ومن ساعد الفرس ودافع عنهم (النعمان بن قبيصة) ، وهو ابن (حية الطائي) ابن عم (قبيصة بن اياس بن حية الطائي) صاحب الحيرة ، وكان مرابطاً في قصر (بني مقاتل) ، وكان منظره له . وقد قتله (سعد بن عبد الله بن سنان الأسدي) لما سمعه يستخف بقريش وبالقريشيين . فلما سأل عن (سعد بن ابي وقاص) ، وقيل له انه من قريش ، قال : (اما اذا كان قرشياً فليس بشيء ، والله لأجاهدنه القتال ، انما قريش عبيد من غلب ، والله ما يمنعون خفياً ، ولا يخرجون من بلادهم الا بخفير) .^٣

ونجد في (فتوح الشام) للواقدي ، خبراً مفاده ان (سعد بن ابي وقاص) لما وجهه الخليفة (عمر) الى العراق قدم ارض (الرحبة) ، فاتصلت الاخبار بـ (اليعمور بن ميسرة العبسي) ، فكتب الى كسرى يخبره بمجيئه الى هذا المكان ، وان (سعداً) لما ارتحل من (الرحبة) الى (الحيرة البيضاء) في ثلاثين ألفاً من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة واخلاط العرب ، وجد هناك جيش (النعمان بن المنذر) ، وقد ضرب خيامه والسراذقات الى ظاهرها ، وهو في ثمانين ألفاً من جميع عرب العراق ، فكتب (النعمان) الى (كسرى) بمجيئهم

١ الطبري (٤٨٩/٣) .

٢ الطبري (٤٩١/٣) .

٣ الطبري (٥٧٢/٣) وما بعدها .

وَحَثَّ عَرَبَهُ عَلَى الصُّمُودِ وَعَلَى مَقَاوِمِهِ سَعْدٌ قَاتِلًا لَهُمْ : (إِنْ هَؤُلَاءِ عَرَبٌ وَأَنْتُمْ عَرَبٌ وَهَلَاكُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ جِنْسِهِ) (وَلَيْسَ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ فَخْرٌ يَفْتَخِرُونَ بِهِ عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ نَحْنُ لَنَا الْفَخْرُ عَلَيْهِمْ . وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ فِيهِمْ نَبِيًّا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا يُقَالُ لَهُ الْقُرْآنُ ، وَنَحْنُ لَنَا الْإِنْجِيلُ وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، وَجَمِيعَ الْخَوَارِيزِ ، وَلَنَا الْمَذْبُوحُ ، وَلَنَا الْقُسُوسُ وَالرَّهْبَانُ وَالشَّمَامَةُ ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ دِينُنَا عَتِيقٌ وَدِينُهُمْ مُحَدَّثٌ ، فَاتَّبِعُوا عِنْدَ الْلِقَاءِ وَكُونُوا عِنْدَ ظَنِّ الْمَلِكِ كَسْرَى بِكُمْ)^١ .

ويذكر رواية هذا الخبر ان عم (النعمان بن المنذر) ، وكان صاحب حرسه ، دخل اليه وقال له : إن أعداءنا قد أنفذوا الينا رسولا ، فأمر بادخاله عليه ، وكان الرسول (سعد بن أبي عبيد القاري) ، فلما وقف بين يدي النعمان صاح به الحجاب والغلمان : قَبِلَ الْأَرْضَ لِلْمَلِكِ فَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ : إِنْ اللَّهُ أَمَرْنَا أَنْ لَا يَسْجُدَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ . وَلِعَمْرِي إِنْ هَذِهِ كَانَتْ الْعَادَةُ الْمَعْرُوفَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ، فَلِمَا بَعَثَ جَعَلَ تَحِيَّتَهُ السَّلَامَ ، وَكُنَّا كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِ . وَأَمَّا السَّلَامُ ، فَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا تَحِيَّتُكُمْ هَذِهِ ، فَهِيَ تَحِيَّةُ جَبَابِرَةِ الْمَلُوكِ . فَقَالَ النُّعْمَانُ : لَسْنَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ ، بَلْ نَحْنُ أَجْلٌ مِنْكُمْ ، لِأَنَّكُمْ تُوْحِدُونَ فِي دِينِكُمْ وَتَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ وَتُجْحَدُونَ وَلَدَهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ) . وَيَذَكِّرُونَ أَنَّ (سَعْدًا) جَادَلَ (النُّعْمَانَ) فِي طَبِيعَةِ (الْمَسِيحِ) ، فَأَعْجَبَ بِكَلَامِهِ . ثُمَّ كَلَّمَهُ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ دَفَعَ الْجَزِيَّةَ ، فَغَضِبَ (النُّعْمَانُ) ، وَقَالَ لَهُ : (يَا وَيْحَ قَوْمِكَ ، فَلَيْسَ عِنْدَنَا جَوَابٌ إِلَّا السِّيفُ)^٢ .

وتقدمت جيوش المسلمين حتى التحمت بجيش (النعمان) بظاهر الحيرة ، وان (القعقاع بن عمرو التميمي) أو (بشر بن ربيعة التميمي) ، أحدهما التقى بالنعمان في كبيكة من الخيل والازدهارات على رأسه ، فحمل القعقاع أو بشر على الكبيكة ففرقها ، وعلى الكبيكة فَمَزَقَهَا وَعَلَى النُّعْمَانَ بَطْعَةً فِي صَدْرِهِ فَقَتَلَ . فَلَمَّا نَظَرَتْ جِيُوشُ الْحِيرَةِ إِلَى الْمَلِكِ النُّعْمَانَ مَجْتَدِلًا وَلَوْ الْإِدْبَارَ يَرِيدُونَ الْقَادِسِيَّةَ نَحْوَ جَيْشِ الْفَرَسِ . وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ أَسْرَى وَغَنَائِمَ ، وَاحْتَوَى (سَعْدٌ) عَلَى قَصْرِ الْخَوْرْتَقِ وَالسُّدَيْرِ ، وَتَرَكَ جَمِيعَ مَا أَسْنَدَهُ بِالْحِيرَةِ . وَتَحَرَّكَ نَحْوَ الْقَادِسِيَّةِ . وَكَانَتْ أَخْبَارُ هَزِيمَةِ النُّعْمَانَ

١ الوافدي ، فتوح الشام (١٨٥/٢) وما بعدها) .
٢ الواقدي ، فتوح الشام (١٨٦/٢) .

قد وصلت الفرس وهم بالقادسية ، وقد وصلت اليهم الفلول المنهزمة من جيش النعمان ، فوقع التشويش في عسكر الفرس ، وخارت قواهم ، مما أدى الى انتصار المسلمين عليهم في هذا المكان^١ .

ولا نجد هذا الخبر في أيّ مورد آخر من موارد أهل الأخبار ، فقد نصت جميع الموارد الأخرى على ان النعمان كان قد لقي مصرعه على نحو ما تحدثت عنه في أثناء كلامي على مملكة الحيرة . فلعل (النعمان) هذا هو أحد أبناء (آل لحم) ، واستعان به الفرس للدفاع عن الحيرة ومنتوه في مقابل مساعدته لهم بالملك ، كما استعانوا به (قابوس بن قابوس) . وقد يكون خبره من صنع أهل الأخبار ، أقحموا اسمه إقحاماً ، وما فطنوا الى انه كان قد توفي قبل هذا الوقت بسنين ، على كل قبي الخبر كلام منمق وحوار وجدل يثبتك لونه ان فيه تكلفاً وصنعة ، وان الخبر قد وضع وضعه أناس ، لغايات لا مجال للبحث عنها في هذا المكان . وسار (خالد) من (الحيرة) الى الأنبار ، فحاصرها ، وكان أصحاب النعمان وصناعته يعطون أرزاقهم منها ، ثم صالحهم ، ثم أتى (خالد) بعد مواقع أخرى (عين التمر)^٢ .

وكان على رأس العرب الذين عاونوا الفرس وانجازوا اليهم : (عقة بن أبي عقة) و (هلال بن عقة بن قيس بن البشر) الثمري ، على النمر بن قاسط بعين التمر ، و (عمرو بن الصعق) و (بجير) أحد بني عتبة بن سعد بن زهير ، والمهذيل بن عمران ، ومعهم رجال من قبائلهم^٣ . ولكنهم لم يتمكنوا من الوقوف أمام (خالد بن الوليد) ، إذ انهزم جندهم ، وأسر (عقة) و (عمرو بن الصعق) ، وكان (عقة) خفير القوم ، وسقط حصن عين التمر في الاسلام^٤ . وورد في خبر آخر ان (خالد) قتل (هلال بن عقة) (هلال بن عقة) ، وصلبه . وكان من (النمر بن قاسط) ، وكان خفيراً بعين التمر^٥ .

- ١ الواقدي ، فتوح الشام (١٨٧/٢ وما بعدها) .
- ٢ البلاذري ، فتوح (٢٤٦ وما بعدها)
- ٣ البلاذري ، فتوح (٢٤٩) .
- ٤ الطبري (٣٧٦/٣ وما بعدها) .
- ٥ الاخبار الطوال (١١٢) .

وتعرف (عين التمر) بـ (شفاثا) (شفائي) وبـ (عين شفته) ، وقد اشتهرت بالقسب والتمر ، وكانت تصدرهما الى البادية والى اماكن أخرى ، ويقصد بها الأعراب للامتيار . وبها حصن يتحصن به وعين ماء . ولما اقرب المسلمون منها ، كان بها (مهرا بن بهرام جوين) في جمع عظيم من الفرس للدفاع عنها ، ومعه جمع عظيم من النمر وتغلب واياها ومن لاقهم ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ، وفر الفرس ^١ . وكان بعين التمر مسلحة لأهل فارس ^٢ .

وقد وجد (خالد) في كنيسة (عين التمر) جماعة سباهم ، ووجد أولاداً كانوا يتعلمون الكتابة في الكنيسة ، وقد اشتهر وعرف عدد من هؤلاء الذين سبوا ، واشتهر أولادهم أيضاً . وقد كان من هؤلاء من كان من (بني النمر ابن قاسط) النازلين بعين التمر ^٣ .

وكانت قُرَيَات السواد وهي : بانقيا وباروسما وأليس خليط من العرب ومن النبط وسواد العراق ، وقد صالح أهلها (خالد بن الوليد) حينما ظهر أمامها ، صالحوه على الجزية ، وكان الذي صالحه عليها (ابن صلوبا السوادي) المعروف بـ (بصبري بن صلوبا) ، ومثله بشاطيء الفرات . وقد ورد في كتاب الصلح الذي أعطاه (خالد بن الوليد) له ، (وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قربتك - بانقيا وباروسما - ألف درهم) ^٤ .

وذكر (البلاذري) ان الخليفة (عمر) وَجَّهَ (أبا عبيدة الثقفي) الى العراق ، فلما وصل الى هناك ، وهزم (جابان) بالعذيب ، ثم هزم الفرس في معارك أخرى ، حتى بلغ (باروسما) ، صالحه (ابن الأندر زعر) (ابن الأندر زعر) عن كل رأس على أربعة دراهم ^٥ . ولم يشر الى الصلة التي كانت بين (ابن صلوبا) و (ابن الأندر) .

ويرجع أهل الأخبار تأريخ (بانقيا) الى أيام (ابراهيم) ، فهم يذكرون

- ١ الطبري (٣٧٦/٤) ، (دار المعارف بمصر) .
- ٢ الاخبار الطوال (١١٢) .
- ٣ البلاذري ، فتوح (٢٤٩) ، تاريخ خليفة بن خياط (١٨٦/١) .
- ٤ الطبري (٣٤٤/٣ ، ٣٤٦) .
- ٥ البلاذري ، فتوح (٢٥١) ، تاريخ خليفة (٩٢) .

انه كان يتزل بها . وان اليهود كانوا يدفنون موتاهم بها . ويذكرون انها أرض بالنجف دون الكوفة ، وان سكانها كانوا على النصرانية عند ظهور الاسلام . وان الساسانيين كانوا هم الذين يدافعون عنها ويتولون أمر إدارتها ، أما شؤونها المحلية فكان أمرها بيد ساداتها ورؤسائها^١ .

وكانت عشائر (إيراد) من العشائر التي نزحت الى العراق قبل الاسلام بوقت طويل . نزل بعضهم بـ (عين أباغ) ونزل بعض منهم بسنداد . فأمروا هناك ، وكثروا ، واتخذوا بسنداد بيتاً ذا شرفات تعبدوا له . ثم انتشروا ، وغلبوا على ما يلي الحيرة . وصار لهم (الخورتق) و (السدير) . فلهم (أقساس مالك) . وهو مالك بن قيس بن زهر بن إيراد . ولهم دير الأعور ، ودير السواء ، ودير قره ، ودير الجاجم . وإنما سُمي دير الجاجم لأنه كان بين إيراد وبهراء القين حرب ، فقتل فيها من إيراد خلق ، فلما انتقضت الحرب ، دفنوا قتلاهم عند الدير . فكان الناس بعد ذلك يحفرون فتظهر جاجم . فسمي دير الجاجم^٢ . وقيل غير ذلك ، مما لا مجال لذكره في هذا الموضع .

وكانت إيراد تغير على السواد وتفسد . فجعل (سابور) ذو الأكتاب مسالحو بالأبصار وعين التمر وغير هاتين الناحيتين . لحياة الحدود منهم . ثم ان إيراداً أغارت على السواد في ملك كسرى أنوشروان ، فوجه اليهم جيوشاً كثيفة . فخرجوا هارين ، واتبعوا ، فغرق منهم بشر ، وأتى قتلهم (بني تغلب) ، فأقاموا معهم على النصرانية ، فأساءت (بني تغلب) جوارهم ، فصار قوم منهم الى الحيرة ، ودخل منهم في جند ملوك الحيرة ، ولحق جلتهم بغسان بالشأم . فلما جاء الاسلام دخل بعضهم بلاد الروم ، ودخل منهم قوم في خشم وفي تنوخ وفي قبائل أخرى .

ويقال إن مواطن إيراد قبل نزوحها الى العراق ، كانت بالبحرين ، واجتمعت عبد القيس والأزد على إيراد ، فأخرجوا عن الدار فأتى العراق^٣ .

- ١ البلدان (٢٣١/١) (طبعه بيروت) ، البكري ، معجم (٢٢١/١) (طبعة السعا) ،
اليقوي (١٣١/١) ، مرصد الاطلاع (١٢٣/١) .
- ٢ البلاذري ، أنساب (٢٦/١) .
- ٣ البلاذري ، أنساب (٢٩/١) .

وقد وصف (ابن قتيبة) إياداً على هذا النحو : (وكانت إياد أكثر نزار عدداً وأحسنهم وجوهاً وأمدهم وأشدهم ، وأمنعهم . وكانوا لقاحاً لا يؤدون خرجاً . وهم أول معدّي خرج من تهامة ، ونزلوا السواد وغلبوا على ما بين البحرين الى سنداد والخورنق) . فاصطدموا بالساسانيين لأنهم أغاروا على أموال فأخذوها ، فهزموهم الى الجزيرة ، ووجه اليهم (كسرى) ستين ألفاً فكتب اليهم (لتيط) يُنبههم . وانتصر عليهم كسرى ، وانقسموا ثلاث فرق . فرقة لحقت بالشام ، وفرقة أقامت بالجزيرة ، وفرقة رجعت الى السواد^١ .

ولما سار (خالد) من (عين التمر) أتى (صندوداء) وبها قوم من كندة وإياد والمعجم . وتركها واتجه نحو جمع من (تغلب) كانوا بـ (المضيج) و (الحصيد) مرتدين عليهم ، (ربيعة بن بجير) ، فأتاهم فقاتلوه فهزموهم . ثم أغار (خالد) على (قراقر) ، وهو ماء لكلب ، ثم فوز منه الى (سُوى) ، وهو ماء لكلب أيضاً . ومعهم فيه قوم من (بهراء) ، فقتل (حرقوص بن النعمان البهراني) ؛ من (قنصاعة) . وكان المسلمون لما انتهوا الى (سُوى) وجدوا (حرقوصاً) وجاعة معه يشربون ويتغنون فهجموا عليهم وقتلوا (حرقوصاً) . وخرج خالد من (سُوى) الى (الكواثل) ، ثم أتى (قرقيسيا) وانحاز الى البرّ ، وأتى (أركة) (أرك) ، فأغار على أهلها ، وفتحها ، وسار منها نحو (دومة الجندل)^٢ .

وذكر (ابن سعد) ان الرسول كتب الى (نفاثة بن فروة بن الدثلي ملك السامرة)^٣ . ولم يشر الى موضع ملكه من بادية السامرة ومقداره في البادية .

وكانت (دومة الجندل) عند ظهور الاسلام في ملك (أكيدر بن عبد الملك الكندي السكوني) . والسكون من كندة ، فهو كندي النسب أيضاً . وكان ينتقل في البادية فيصل الى الحيرة والى أرض الغساسنة ، ويقال إنه ملك (دومة الحيرة) ونزل بها قبل جلالة عن (دومة الجندل) أو بعده على رأي أهل الأخبار . وكان مثل أكثر رؤساء القبائل في العراق وفي البادية وبلاد الشام على

١ الشعر والشعراء (٩٧ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، فتوح (١١٩) ، الواقدي ، فتوح الشام (٣٠/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٤/١) .

النصرانية ، وله عقود ومعاهدات مع القبائل العربية الشمالية الضاربة في البادية ، تأتي الى مقره في الموسم أيام افتتاح السوق لتمتار وبيع ما تحمله من تجارات . وكان لأكيذر بن عبد الملك أخ اسمه (بشر بن عبد الملك) ، يذكر أهل الأخبار انه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج (الصهباء بنت حرب) أخت أبي سفيان ^١ .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد الى دومة الجندل ليفتحها ، فسار خالد على رأس خييل الى (دومة) ، فلما بلغها وجد الأكيذر خارج حصنه يصطاد مع نفر من قومه فيهم أخ له يقال له : حسان ، فهجس رجال خالد على الأكيذر وأسروه ، وقتل حسان ، وأخذ خالد قباء (أكيدر) وكان من ديباج مخصوص بالذهب ، وبعث به الى الرسول ليوقف عليه المسلمون ، فلما رأوه عجبوا منه وجعلوا (يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله : أتعجبون من هذا . فوالذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا) ^٢ . وقد زاد عجبهم حين وصل خالد ومعه أسيره (أكيدر) ، فحقن له دمه ، وصالحه الرسول على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع الى قريته ^٣ .

ويذكر الرواة ان الرسول استقبل خالداً ومعه أسيره (الأكيذر) في المدينة ، فعرض الرسول الاسلام على الأكيذر ، فقبله وحقن الرسول دمه وكتب له كتاباً ، وعاد الى (دومة) . فلما قبض النبي منع الصدقة وارتد الى النصرانية ديانته الأولى . وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة وابتنى بها بناءً على مقربة من (عين التمر) سمّاه (دومة) أو (دومة الجندل) على اسم موضعه ، وسكن هناك . ثم عاد الى (دومة الجندل) ، وتحصن بها ، فأمر (أبو بكر) خالد بن الوليد بالتوجه اليه ، فسار اليه وقتله . أما أخوه (حريث بن عبد الملك) فقد أسلم ، وحقن دمه . وقد تزوج (يزيد بن معاوية) ابنة له ^٤ .

- ١ جهمرة (ص ٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .
- ٢ الطبري (١٠٨/٣ وما بعدها) (طبعة دار المعارف) ، ابن هشام (٣١٩/٢) ، البلاذري فتوح (٧٢ وما بعدها) .
- ٣ الطبري (١٠٨/٣) ، البكري ، معجم (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، فتوح البلدان (٢٢٣) الكامل (١٩٢/٢) (المنبرية) ، تاج العروس (٥١٨/٣) . (كدر) .
- ٤ فتوح البلدان (٢٢٣) ، البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) ، البلاذري ، فتوح (٧٣) ، تاريخ خليفة بن خياط (٥٦/١) ، (نجيب أكرم ضياء العمري) .

وتذكر رواية أخرى ان (الأكيدر) بعد ان تقضى الصلح وعاد الى نصرانته ،
 أجلاه (عمر) من (دومة) فيمن أجلى من مخالفي الاسلام الى الحيرة ، فأقام
 في موضع قرب (عين التمر) ، ابتناه فسّمَاه (دومة) وقيل (دوما) باسم
 حصنه^١ . وهي رواية لا تتفق مع المشهور بين أهل الأخبار من ان خالداً قتل
 (الأكيدر) في السنة الثانية عشرة أو السنة الثالثة عشرة من الهجرة ، وذلك في
 أيام (أبي بكر) بعد ان أمره الخليفة بالتوجه اليه . وهي رواية أقوى من الرواية
 المتقدمة في نظر المؤرخين .

ويظهر ان أهل (دومة الجندل) كانوا قد سمعوا بنجر مسير (خالد اليهم) ،
 فأرسلوا الى حلفائهم وأحزابهم من بهراء وكلب وغسان وقبائل تنوخ والضجاعم
 ليساعدوهم في الوقوف أمامه . فأتاهم (ودبة) في (كلب) وبهراء ، وسانده
 (رومانس بن وبرة بن رومانس) الكلبي ، وجاءهم (ابن الخلدجان) في
 الضجاعم ، و (جبلة بن الأيهم) في طوائف من غسان وتنوخ . وكذلك
 (الجودي بن ربيعة الغساني) . وكان من المتزعمين في (دومة) ، وقد احتسى
 أهل (دومة) بمصنهم وخلف أسوار المدينة ، والتفت حول السور من الخارج
 نصارى العرب الذين جاؤوا لمساعدة أهلها . وقد تمكن (خالد) يساعده (عياض)
 من الغلب على أهل المدينة وحلفائهم ، وقتل رؤساءهم ، ودخل المدينة متصراً ،
 فغنم جيشه غنائم كثيرة وقُتِلَ من أهلها خلق كثير . وسبى ابنة (الجودي) .
 وكان الأكيدر في جملة القتلى^٢ .

وكان الرسول قد غزا (دومة الجندل) بنفسه ، وذلك في شهر ربيع الأول
 من السنة الخامسة من الهجرة ، وبلغها ، ولم يلق كيداً . كان سبب غزوه لها ،
 ان رسول الله أراد ان يدنو الى أراضي الشام ، لأن ذلك مما يفرع الروم ، ثم
 ان أهل دومة الجندل كانوا يظلمون من يمر بهم ويتزل عندهم ، ومن يحمل
 بسوقهم للبيع والشراء ، وقد كان الناس يذهبون اليها ويعودون الى المدينة ، فقرر
 غزوها ، فلما وصل الرسول كان أهلها قد فرّوا وتركوا قريتهم ، فترل بها

١ البلدان (٢/٦٢٥ وما بعدها) .
 ٢ الطبري (٢/٥٧٨ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٣٩ م) ، الكامل (٢/٢٧٠) ،
 الطبري (٣/٣٧٨ ، ٣٨٥) (دار المعارف) ، السلاذري ، فتوح (٧٤) .

ولم يجد احداً ، فرجع عنها ، وذلك قبل غزو خالد لها .^١
 وورد في سبب غزو الرسول لها ، ان جمعاً من قضاة ومن غسان تجمعوا ،
 وهموا بغزو الحجاز . فسار في ألف انتخبهم ، فلما انتهى الى موضعهم ألفاهم قد
 تفرقوا أو هربوا ، لم يلق كيداً .^٢

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله (عيينة بن حصن) على ان يرعى بـ (تغلمين)
 وما والاها الى (المراض) .^٣

ويفهم من حديث بعض اهل الاخبار عن (دومة الجندل) ، انها كانت قرية
 عادية ، الا ان الدهر كان قد لعب بها ، فخربت وقتل عدد من كان بها ،
 الى ان نزل بها (أكيدر) ، فأعاد اليها رواءها ، وغرس الزيتون بها ، فتوافد
 اليها الاعراب . ويذكر هؤلاء ان (أكيدر) ، كان ينزل مع اخوته قبل مجيئه
 الى (دومة) (دومة الحيرة) ، ولما جاء يزور اخواله من (كلب) ونزل
 بخرائب (دومة الجندل) أعجبه فتزل بها ، وأمر باعادة بناء ما تهدم من حائطها
 وبيعت الحياة بها حتى صارت قرية عامرة يقصدها الاعراب للبيع والشراء .^٤
 وصار (أكيدر) يتردد بينها وبين (دومة الحيرة) .^٥

ويحتمى (دومة) سور قديم ، بني قبل (أكيدر) في زمان لا يحيط علم
 اهل الاخبار به . يقولون انه بُني من (الجندل) ، وانه هو الذي جعل الناس
 يسمون الموضع بـ (دومة الجندل) . ويذكرون انه كان في داخل السور حصن
 منيع يقال له (مارد) ، وهو حصن (أكيدر بن عبد الملك بن الحلي بن أعيا
 ابن الحارث بن معاوية بن خلاد بن ابامه بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن
 السكون بن اشرس بن شور بن عفير ، وهو كندة) فهو سكوني كندي .^٦

- ١ الطبري (٥٦٤/٢) ، (دار المعارف) ابن عساکر ، التاريخ الكبير (١٧/١) ، ابن
 خلدون القسم الاول من المجلد الثاني (ص ٧٧٣) ، ابن هشام (٦٦٨/٢) (الطبعة
 الاوربية) ، شرح المواهب (٣٦٠/٣) ، الكامل (٢٧٠/٢ وما بعدها) .
- ٢ البلاذري ، أنساب (٣٤١/١) .
- ٣ نهاية الارب (١٦٣/١٧) ، (غزوة دومة الجندل) .
- ٤ البلاذري ، فتوح (ص ٢٢٣) (بيروت ١٩٥٧ م) .
- ٥ البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) ، (١٠٦/٤) (طبعة ١٩٠٦) .
- ٦ البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) (طبعة طهران ١٩٦٥ م) .

وحصن (مارد) ، حصن شهير له ذكر بين اعراب الشمال بُني قبل ايام (اكيلر) . قال عنه بعض اهل الاخبار انه حصن عادي ، اي من الحصون الجاهلية القديمة . وقد رأينا فيما سلف ان (دومة) من المواضع المعروفة التي يعود عهدهما الى ما قبل الميلاد . وذكر اهل الاخبار ، ان سكانها كانوا اصحاب نخل وزرع ، يسقون على التواضع ، وحوها عيون قليلة وزرعهم الشعير . وانها (دوما الجندل) ايضاً .^١

وكان اكثر سكان (دومة الجندل) من (بني كنانة) من (كلب) . وبعدها بعض اهل الاخبار من (القرينات) ويقصدون بمصطلح (القرينات) : دومة وسكاكة وذو القارة .^٢ وتحيط بدومة مستوطنات وقرى تحتمي بسطان حاكم (دومة) . وكان (اكيلر) يلقب نفسه بلقب (ملك) على عادة ذلك الوقت في تلقيب سادات المواضع انفسهم بهذا اللقب ، وان كان لا يعني في الواقع اكثر مما يعنيه مصطلح (شيخ) في الوقت الحاضر .

وكان اهل (دومة) على النصرانية ، شأنهم في ذلك شأن اكثر اهل القرى في العراق وفي بادية الشام وبلاد الشام . وكان اهل (اكيلر) على هذه الديانة ايضاً . اذ ورد ان الرسول ارسل (عبد الرحمن بن عوف) على رأس جيش الى دومة ، فذهب اليها ودخلها ، وأسلم (الأصبغ) ، وتزوج عبد الرحمن ابنته (تماضر) ، اذ كان الرسول قد كتب اليه ان يتزوج ابنة ملكها ، اي ملك (دومة) ، وهو (الأصبغ) .^٣ فيظهر من هذا الخبر ، ان (الأصبغ) كان يلقب نفسه بلقب (ملك) ايضاً ، وأنه كان يحكم (دومة) في ايام الرسول . في نفس الوقت الذي كان فيه (الأكيلر) يحكم (دومة) ، ويلقب نفسه بلقب (ملك) .

-
- ١ التاريخ الكبير ، لابن عساكر (٨٩/١ وما بعدها) (مطبعة روضة الشام) ، ناج العروس (٢٩٧/٨) ، (دوم) .^{*}
 - ٢ البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) ، مرصد الاطلاع (٥٤٢/٢ وما بعدها) .^{*}
 - ٣ التاريخ الكبير ، لابن عساكر ، (٨٩/١ وما بعدها) ، البكري ، معجم (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، المحبر (ص ١٢٠) .^{*}

وذكر بعض الأخباريين ان اهل دومة الجندل كانوا من عباد الكوفة .^١ ويقصدون بذلك انهم كانوا نصارى ، فقد كانت عادتهم اطلاق لفظة (عباد) على النصارى العرب ، عرب الحيرة بصورة خاصة . وقصدوا بالكوفة ، الحيرة ، لأن الكوفة لم تكن موجودة في الجاهلية ، اذ بنيت في ايام الخليفة (عمر) .

ويظهر من اهل الاخبار ان (اكيذر السكوني) لم يتمكن من تثبيت ملكه على (دومة الجندل) بصورة دائمة ، اذ كان ينافسه زعماء كلب الأقوياء . فقد ذكر (محمد بن حبيب) ان ملكها كان بين (اكيذر العبادي ثم السكوني وبين قنافة الكلبي . فكان العباديون اذا غلبوا عليها وليها اكيذر ، واذا غلب الغسانيون ولّوها قنافة . وكانت غلبتهم ان الملكين كانا يتحاجيان فأما ملك غلب صاحبه باخراج ما يلقي عليه ، تركه والسوق فصنع فيها ما شاء . ولم يبيع بها احد شيئاً الا باذنه حتى يبيع الملك كلما اراد يبعه مع ما يصل اليه من عشورها) .^٢ ويؤيد هذا الخبر ما ذكرته من وجود ملك آخر على دومة ، هو (الأصبغ) الكلبي المتقدم الذكر .

وهناك خبر آخر يفيد ان (الجودي بن ربيعة) ، كان مثل (الاكيذر) رئيساً على (دومة) ، وان الإثنين كانا رئيسين عليها .^٣ وورد انه كان من غسان وأن اسمه (عدي بن عمرو بن أبي عمرو الغساني) ، وأن (عبد الرحمن ابن ابي بكر) ، (كان يختلف الى الشام في تجارة قريش في الجاهلية ، فرأى هناك امرأة يقال لها : ابنة الجودي من غسان ، فكان يهنئ بها ، ويذكرها كثيراً في شعره) ، (وأصببت حين غزو الروم ليلي ابنة الجودي ، فبعثوا بها الى عبد الرحمن بن ابي بكر لذكره اياها) .^٤ فهو اذن على هذه الرواية من غسان .

ويظهر من غرابة روايات الأخباريين ان هنالك موضعاً آخر عرف بـ (دومة) و (دوما) . يقع في العراق على مقربة من (عين التمر) ، ذكر الاخباريون

-
- ١ البلاذري ، فتوح (٧٤) .
 - ٢ المحبر (ص ٢٦٣ وما بعدها) ، الازمنة والامكنة (١٦١/٢ وما بعدها) .
 - ٣ الكامل (٢٧٠/٢ وما بعدها) .
 - ٤ نسب قريش (٢٧٦) .

ان اسمه (دومة) و (دوما) و (دومة الجندل) . ونسبوا كما ذكرت قبل قليل بناءه الى (الاكيلر) . وهو موضع لا نعرف من امر تأريخه شيئاً يذكر .
 وذكر ان (حارثة بن قطن) ، و (حمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل) ،
 وهما من (كلب) قدما الى رسول الله وأسلما ، فكتب رسول الله لحارثة كتاباً
 (لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قطن) ، ثم
 بين ما على المذكورين من حقوق وواجبات ، وما عليهم من احكام فرضها
 الاسلام على المسلمين .^١

وترك (خالد) (دومة الجندل) ، ثم اتى (قصم) ، فصالحه (بنو
 مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن
 قضاعة) ، وكتب لهم اماناً . ثم اتى (تدمر) ، فأمنهم ، ثم اتى (القريتين) ،
 ثم (حوارين) من (سدير) ، ثم اتى (مرج راهط) ، فأغار على (غسان) .^٢
 وكان (حاضر) (قنسرين) لتنوخ ، من اول ما تنخوا بالشام ، نزله
 وهم في خيم الشعر . ثم ابتنوا به المنازل . فدعاهم (ابو عبيدة) الى الاسلام ،
 فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية (بنو سليح) . وكان بهذا الحاضر قوم من
 (طيء) ، نزله بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلوا الجليلين . فلما
 ورد (ابو عبيدة) عليهم اسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية ، ثم
 اسلموا بعد ذلك .^٣

وقضاعة قبائل عديدة ، منها (بنو جرم بن ربان) و (بنو سليح) و (تزيد)
 ابنا (عمران بن الحاف بن قضاعة) و (كلب بن وبرة) ، وهو قبيل عظيم .
 منهم (الأسيع) ، ومن قبائل قضاعة (عنزة بن زيد اللآت) و (العبيد بن
 زيد اللآت) ، و (بنو كنانة) ، و (بنو جناب بن هبل) ، و (بنو
 عليم بن جناب) ، و (بنو مصاد) ، و (بنو حصن) ، و (بنو معقل) .
 ومن (بني جناب) (بحدل بن أتييف) ، ج ، (يزيد بن معاوية) لأمه .
 ومن رجالهم (ابن الجلاح) ، وكان قائداً للحارث بن ابي شمر الجفني ،

١ نهاية الايوب (٩٣/١٨ وما بعدها) .
 ٢ البلاذري ، فتوح (١١٨ وما بعدها) ، الطبري (٤١٧/٣) ، تاريخ خليفة (٨٧/١) .
 ٣ البلاذري ، فتوح (١٥١) .

واسمه (النعمان) . وهو الذي اغار على (بني فزارة) و (بني ذبيان) ، فاستباحهم وسبى (عقرب) بنت النابغة ، ومن عليها ، فلدحه (النابغة) .^١ وقد انتشرت بطون (كلب) في ارضين واسعة ، شملت دومة الجندل وبادية السماوة والاقسام الشرقية من بلاد الشام . ولما أخرج الروم عن ديار الشام ، لعبت بطون كلب دوراً بارزاً في السياسة ، اذ أيدت الامويين ، وتزوج (معاوية) (ميسون) أم (يزيد) وهي كلبية ، فصارت كلب في جانب الامويين .

ومن قبائل (قضاعة) ، (بنو عامر الاجدار) . ومن رجال (بني وبرة) غير كلب ، (بنو القيس بن جسر) ، و (بنو مصاد بن مذعور) و (بنو زهير بن عمر بن فهم) . ومن قبائل (جرم بن ربان) : (بنو اعجب) و (بنو طرود) و (بنو شميس) . ومن بطون (جرم) : (بنو خشين) ، ومن رجالهم (رأس الحجر) ، وقد رأس في الجاهلية وأخذ المرباع . ومن رجال (جرم) ، (عصام بن شهبر) ، حاجب النعمان . وكان النعمان اذا اراد ان يبعث بألف فارس بعث بعصام .^٢

وقد ذهب وفد من (جرم) الى المدينة ، فيه (الاصقع بن شريح بن صريم) و (هودبة بن عمرو) ، فأسلما ، وكتب الرسول لهما كتاباً .^٣ وذهب وفد آخر ، اخبر الرسول باسلام حواء من جرم ، كان عليه (سلمة بن قيس الجرمي) ومعه ابنة (ابو زيد عمرو بن سلمة بن قيس الجرمي) .^٤

وقد ساعد الغساسنة الروم في حروبهم مع المسلمين ، وكان على رأسهم (جبلة ابن الايهم الغساني) ، الذي حارب مع مقدمة جيش الروم في مستعربة الشام من غسان ولحم وجندام وغيرهم يوم اليرموك . ثم انحاز (جبلة) الى المسلمين ، وأظهر الاسلام ، ثم عاد ، ففرّ الى بلاد الروم ، واستقر بها ، وبها مات .^٥ وقد استمر (المستعربة) يناصرون الروم ، فلما تراجع قوادهم نحو الشمال لضغط

- ١ الاشتقاق (٣١٣ وما بعدها) .
- ٢ (عصام بن شهبر الجرمي ، حاجب النعمان بن المنذر ملك العرب . ومنه قولهم : ما وراك يا عصام ؟ يعنون به اياه) ، تاج العروس (٣٩٩/٨) ، (عصم) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٣٣٥/١) ، (الاسقع) ، نهاية الارب (٩٤/١٨) وما بعدها .
- ٤ ابن سعد ، طبقات (٣٣٦/١) وما بعدها .
- ٥ البلاذري ، فتوح (١٤٠ وما بعدها) . (٢) البلاذري ، فتوح (١٦٩) .

المسلمين عليهم ، التحق بهم هؤلاء (المستعربة) من غسان وتوخ وإياد ، وقد التحموا بالمسلمين في (درب بغراس)^١ .

ويذكر الأخباريون ان (دمشق) كانت منازل ملوك غسان . وبها آثار لآل جفنة . والظاهر ، انهم كانوا قد اشتروا وابتنوا بها قصوراً ، عاشوا فيها ، ومنها كانوا يتصلون بكبار الموظفين الحاكمين البيزنطيين . فإذا أرادوا الاتصال بقومهم الغساسنة عادوا الى قصورهم بين قومهم . وكانت الغوطة : غوطة دمشق من المناطق التي سكن بها الغساسنة^٢ .

ويظهر من رواية يرجع سندها الى (محمد بن بكير الغساني) عن قومه (غسان) ان الغساسنة لم يقبلوا على الاسلام إقبال غيرهم من العرب ، وانهم لم يسلموا إلا بعد فتوح الشام . ولما ذهب ثلاثة نفر منهم الى المدينة ، وأسلموا وبايعوا الرسول ، لم يستجب قومهم لهم في دعوتهم الى الاسلام ، فكتبوا أمرهم عنهم ، خوفاً من بطش قومهم بهم^٣ .

وورد في أخبار الرسل الذين أرسلهم الرسول الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، ان الرسول أرسل (شجاع بن وهب) الى (الحارث بن أبي شمر الغساني) من غسان ، وكان يقيم إذ ذاك بغوطة دمشق في قصر منيف ، ليدعوه الى الاسلام ، فلما دفع (شجاع) كتاب رسول الله الى (الحارث) رمى به ، ولم يدخل في الاسلام وبقي على النصرانية حتى توفي عام الفتح^٤ .

وكان (جبلة) مع الروم يوم (اليرموك) ومعه (المستعربة) من غسان وقضاة وذلك سنة (١٥) للهجرة ، وكان قد انضم الى المسلمين بعض لحسم وجذام ، فلما وجدوا جد القتال فرّوا ونجوا الى ما كان قربهم من القرى وخذلوا المسلمين^٥ .

وقد كان (جبلة بن الأيهم) على رأس (العرب المنتصرة) يحارب مع

١ البلاذري ، فتوح (١٦٩) .

٢ ابن رسته ، الاعلاق (٣٢٦) .

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣٨ وما بعدها) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦١) ، نهاية الارب (١٨/١٦٥) .

٥ الطبري (٣/٥٧٠ وما بعدها) .

الروم ، لمنع المسلمين من التقدم نحو (قنسرين) ، ويذكر أهل الأخبار ان محاورات جرت بينه وبين المسلمين في موضوع اشتراكه مع الروم ، ومنها محاورات مع (خالد بن الوليد) صاغوها بأسلوب قصصي منمق ، وذكروا انه كان جالساً (على كرسي من ذهب أحمر وعليه ثياب الدياتج الرومي وعلى رأسه شبكة من اللؤلؤ وفي عنقه صليب من الياقوت)^١ . وكان ذلك بعد ارتداده عن الاسلام^٢ ، فلما غلب الروم ، (كان جبلة أول من انهزم والعرب المنتصرة أثره)^٣ .

ومن الغساسنة (شرحبيل بن عمرو الغساني) ، الذي قتل رسول الله (الحارث بن عمير الأزدي) ، الذي كان الرسول قد بعثه الى ملك (بصرى) . فلما نزل (مؤتة) قتله (شرحبيل) . فأمر رسول الله بارسال حملة عليه ، ستة ثمان للهجرة جعل أميرها (زيد بن حارثة) . ولما سمع بها (شرحبيل) جمع جمعاً من قومه وتقدم نحوهم ، وكانوا قد نزلوا (معان) . وبلغ المسلمين ان (هرقل) كان قد نزل (مأب) من أرض البلقاء في جمع من بهراء ووائل وبكر ولحم وجندام والقيين ، عليهم (مالك بن رافلة) الاراشي من (بلي) ، فأنجازوا الى (مشارف) ، ولما دنا العدو أنجازوا الى (مؤتة) ، وقتل فيها (جعفر بن أبي طالب) ، و (عبد الله بن رواحة) و (ثابت بن رواحة) و (ثابت بن أرقم) ، ثم (زيد بن حارثة) ، ثم تراجعوا الى المدينة . وقتل من العرب الذين كانوا مع الروم (مالك بن رافلة) (زافلة)^٤ . واعتزل بعض (حدّس) وهم (بنو غنم) الحرب ، لاشارة كاهنتهم عليهم بذلك ، فأخذوا بقولها ، فاعتزلوا عن (بني لحم) وصلم الحرب بعض منهم ، وهم (بنو ثعلبة)^٥ .

وكان بقرب (حلب) حاضر ، عرف بـ (حاضر حلب) ، جمع أصنافاً من العرب من تنوخ ، فصالحهم (أبو عبيدة) على الجزية^٦ . ويرجع هذا

-
- ١ الواقدي ، فتوح الشام (١٠٦/١) ، (ذكر فتح قنسرين) .
 - ٢ الواقدي (١١٠/١) .
 - ٣ الواقدي (١١٤/١) .
 - ٤ نهاية الأرب (٢٧٧/١٧) ، (سرية مؤتة) .
 - ٥ الطبري (٤١/٣) ، ذكر الخبر عن غزوة مؤتة .
 - ٦ البلاذري ، فتوح (١٥١) .

الحاضر الى أيام الجاهلية ، فقد كان العرب قد توغّلوا الى هذه الديار قبل ظهور الاسلام ، وأقاموا في الحواضر بظواهر المدن يتعيشون من اتصّالهم بأهل تلك المدن .

ولم تكن الرابطة الدينية التي ربطت بين أكثر عرب بلاد الشام والبيزنطيين ، هي العامل الوحيد الذي جعل أولئك العرب ينضمون الى صفوف الروم في الدفاع عنهم وفي مقاومة جيوش المسلمين ، بل كانت هناك عوامل أخرى ، مثل المنافع المادية التي كان يجنيها سادات الأعراب من البيزنطيين ، حيث كانوا يتلون هدايا ورواتب منهم في مقابل حماية الحدود والمحافظة عليها من غارات الأعراب وفي مقابل الغارات التي كان البيزنطيون يكلفونهم بها لغزو حدود العراق لازعاج أعدائهم الفرس وقت الحاجة والضرورة ، ومثل التسهيلات التي كانوا يتلونونها من البيزنطيين في الإتجار مع مدن الشام وفي معاملات البيع والشراء والرواتب السخية التي تدفع للأعراب إذا خدموا في صفوف العساكر المتطوعة ، وهي رواتب سخية إذا قيست بالنسبة لحالة أهل البادية المنخفضة من الناحية المادية كثيراً بالنسبة الى حالة سكان بلاد الشام .

وكان (الحيار) : (حيار بني القعقاع) بلداً معروفاً قبل الاسلام . وبه كان مقيل (المنذر بن ماء السماء) اللخمي ، ملك الحيرة . فتره (بنو القعقاع) من (عيس بن بغيس)^١ .

وكانت اللقاء في أيدي قبائل من العرب مثل لحم وجذام وبلقين وبراء وبليّ ، وهي قبائل يطلق عليها المؤرخون اسم (المستعربة)^٢ . وكانوا على النصرانية في الغالب ، لذلك كان هواهم الى جانب الروم . فكانوا معهم في غزوة (مؤتة) يقاتلون مع (هرقل) ضد المسلمين وعليهم (مالك بن رافة) وهو من (بليّ) ثم أحد إراشنة . وكان المسلمون إذ ذاك في (معان) . وهي من أعمال اللقاء يستعدون للروم^٣ . وكان صاحب هذه المدينة في أيام الرسول رجلاً من (جذام) ، هو (فروة بن عمرو الجُدّامي) . وكان عاملاً للروم على من

١ البلاذري ، فتوح (١٥١ وما بعدها) .

٢ الطبري (٣٧/٣) (دار المعارف) .

٣ ابن الأثير (٩٧/٢) ، الطبري (١٠٨/٣) ، (غزوة مؤتة) ، البلدان (٩٣/٨) ،

(معان) .

يليه من العرب ، ومتزله بمعان . فلما أرسل فروة رسولا^١ عنه الى الرسول يبلغه بإسلامه ، قبض الروم عليه وجبوه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه^١ .

ومن (لحم) (بنو الدار بن هانيء) . وقد قدم وفد منهم على رسول الله منصرفه من (تبوك) ، فيه : (تميم بن أوس بن خارجة الداري) و (نعيم ابن أوس بن خارجة) ، و (يزيد بن قيس بن خارجة) ، و (الفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفارة) ، و (جبلة بن مالك بن صفارة) ، و (أبو هند) و (الطيب) إبتنا (ذر) . وهو (عبد الله بن رزين بن عميت بن ربيعة درآع) ، و (هانيء بن حبيب) و (عزيز) و (مُرّة) إبتنا (مالك بن سواد بن جذمة) ، فأسلموا ، وأهدى (هانيء بن حبيب) لرسول الله ، راوية خر وأفراساً وقباءاً مخصوصاً بالذهب . فقبل الأفراس والقباء . وقال تميم : لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لإحدهما (جبرى) والأخرى (بيت عينون) ، فلان فتح الله عليك الشام فهبها لي . فوهبها رسول الله له . فلما توفي الرسول وقام أبو بكر أعطاه ذلك وكتب له كتاباً^٢ .

ولما أمر الرسول (أسامة بن زيد بن حارثة) ان يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، تجهز معه المهاجرون الأولون ، ولكن وفاة الرسول لم تمكنه من السفر ، فكان أول ما فعله خليفته (أبو بكر) ان أمره بتنفيذ ما أمره به رسول الله^٣ . ولكنه لم يتقدم كثيراً ، بل بلغ الموضع الذي قتل أبوه زيد بن حارثة فيه ، وهو من أرض الشام فرجع ، لأن الرسول أمره في حياته بالمسير اليه^٤ .

و (الداروم) قلعة بعد غزة للقاصد الى مصر . يجاورها عربان بني ثعلبة بن سلامان بن ثعل من بني طيء . وهم درماء وزريق^٥ .

- ١ ابن الاثير (١٢٤/٢) ، البكري (١٢٤٢/٤) (معان) ، ابن سعد ، طبقات (٢٦١/١) وما بعدها .
- ٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٣/١) وما بعدها .
- ٣ الطبري (١٨٤/٣) وما بعدها) ، (لم دخلت سنة احدى عشرة) .
- ٤ الطبري (٢٤١/٣) ، نهاية الارب (٣٧٠/١٧) .
- ٥ تاج العروس (٢٨٨/٨) ، (درم) .

وكانت (جذام) فائزة في (حسمى) عند ظهور الإسلام . وهي من مواطن (ثمود) . و (جذام) من نسل (جذام) شقيق (عاملة) و (لحم) أبناء (عدي بن الحارث بن مرة بن كهلان) . واسم (جذام) الحقيقي في رأيهم (عمرو)^١ . وتقع أرض جذام في الأقسام الجنوبية من بلاد الشام ، وتصل الى (أيلة) ثم تمتد مع الساحل حتى تبلغ (ينبع)^٢ .

ويرجع بعض النسابين نسب جذام الى اليمن ، ويرجعها بعض آخر الى مضر ، وتوسط قوم فقالوا لانهم كانوا من مضر في الأصل ، ثم غادروا ديار مضر ، فذهبوا الى اليمن ، وعاشوا بين قبائل قحطان ، فنسوا أصلهم بتقدم العهد ، وعدتوا في القحطانيين . ويظهر ان هذا الرأي هو محاولة للتوفيق بين الرأيين السابقين . أما الذي عليه غالبية جذام ، فهو انها من قحطان^٣ .

وقد وفد رجال من (جذام) على رسول الله ، منهم (رفاعة بن زيد بن عمير بن معبد الجذامي) ثم أحد (بني الضبيب) ، فأسلم وكتب الرسول له كتاباً . أما (فروة بن عمرو بن النافرة) الجذامي ، فقد كان كما سبق ان ذكرت عاملاً الروم على ما يليهم من العرب ، وكان منزله (معان) وما حولها أو على (عمان) ، فلما بلغهم انه كاتب الرسول وانه أسلم أخذوه فحبسوه ، ثم ضربوا عنقه^٤ . ويذكر أهل الأخبار ان (فروة) كتب الى الرسول كتاباً أرسله مع (مسعود بن سعد) ، وبعث اليه بيغلة وفرس وحمار ، وأثواب ليين^٥ ، وقباء سندس مخصوص بالذهب^٥ . وان الرسول كتب الى فروة جواب كتابه . ويذكر أهل الأخبار ان الروم لما قبضوا على (فروة) ، قال شعراً يذكر فيه

١ البلدان (٢٧٦/٣) ، الاشتقاق (٢٢٥) ، المعارف (ص ٥٠) .

٢ صفة (١٢٩) .

٣ (وجذام قبيلة من اليمن تنزل بجبال حسمى ، وراء وادي القرى . وهو لقب عمرو ابن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . وهو أخو لحم وعاملة وعفير . ويقال اسم جذام عوف وقيل عامر . والاول أصح . ونزعم نساب مضر أنهم من معد بن عدنان) ، (وانما سمي جذام جذاما ، لان أخاه لخما وكان اسمه مالكا ، اقتتل وياه ، فيجزم أصبح عمرو . فسمي جذاما . ولحم عمرو مالكا فسمي لخما) ، تاج العروس (٣٢٣/٨) ، (جنم) .

٤ طبقات ابن سعد (٣٥٤/١) وما بعدها) .

٥ ابن سعد ، طبقات (٢٨١/١) .

نفسه والرسول ، وقال مثل ذلك لما نقله الروم الى موضع يقع على ماء لهم بفلسطين اسمه (عفراء) ، فلما أرادوا ضرب عنقه ، قال بيتاً من الشعر في إسلامه وفي إيمانه^١ .

وقد انتشرت النصرانية بين كلب ، كما انتشرت بين أكثر القبائل النازلة بديار الشام . والظاهر أنها كانت على مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة (Monophysites)^٢ .

وفي جوار (الحجر) وفي شرق (حرة ليلي) ، أقامت بنو عنزة ، وهي من قبائل قضاة ، وتنسب الى (عنزة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاة)^٣ . ولا نعلم من تأريخ هذه القبيلة في الجاهلية شيئاً يذكر . ولم يرد اسمها كثيراً في الأيام ، والظاهر ان ذلك لقلة شعرائها ، فإن شعر الشعراء هو الذي خلد أسماء القبائل عند الأخباريين . ويظن انها قبيلة (Adrait) (Adraeta) التي ذكرها (بطلميوس)^٤ .

أما ديار هذه القبيلة ، فكانت في وادي القرى وتبوك . ولكنها امتدت حتى بلغت قرب أيلة ، ويذكر الأخباريون ان هذه القبيلة هاجرت مع من هاجر من قبائل قضاة بعد حربها مع حمير ، فنزلت في هذه الديار^٥ . وتعاهدت مع قوم من يهود على مجاورتهم ، والا تتحرش بهم وبنخيلهم وبناتينهم . وتجاور ديار عنزة ديار قبائل أخرى من قضاة مثل نهد وجهينة ويلي وكلب ، كما جاورت من الشمال قبيلة غطفان^٦ .

ولعنزة حلف مع عدد من بطون سعد هذيم ، مثل بني ضنة ، وبعدهم النسابون بطناً من عنزة ، وكذلك مع بني سلامان . وقد عرفوا بصحار . وكان لهم حلف مع جهينة ، ويرجع الأخباريون عهد هذا الحلف الى أيام حرب قضاة ، وهي الحرب المسماة ب (حرب القريض)^٧ .

١ نهاية الارب (٢٩/١٨) .

٢ Ency., II, P. 889.

٣ Ency., II, P. 989.

٤ Sprenger, Geographie, S. 205, 333.

٥ البكري (١٨ ، ٢٢ ، ٢٧) ، الاغانى (١٦١/١٦) .

٦ Ency., IV, P. 988.

٧ البلدان (٣/٣٦٨) ، وهم أبناء (صحار) ، الاشتقاق (٣٢٠) ،

Ency., IV, P. 988.

وهناك جملة قبائل ذكر الأخباريون أربعاً أو خمساً قالوا انها كانت تعرف بـ (عنزة)^١ . وقد سبب تعدد هذه الأسماء للنسابين بعض التشويش .

ويظهر من روايات الأخباريين انه كان لهذه القبيلة صلة بقريش ، فزعموا ان أم (قصي) تزوجت رجلاً من (بني عنزة) ، وان أخاه من أمه (رزاح ابن ربيعة بن حرام) اشترك مع قريش في الدفاع عن الكعبة وفي طرد خزاعة عنها . ورووا أيضاً انه كان لها صلة بالأوس والخزرج كذلك ، لأن أم القبيلتين ، وهي (قيلة بنت كاهل أو بنت هالك) ، كانت من هذه القبيلة^٢ .

ولما قدم وفد (عنزة) على الرسول في صفر سنة تسع ، وفيه (حمزة بن النعمان العنزي) و (سليم) و (سعد) ابنا مالك ، و (مالك بن أبي رباح) ، سلموا على الرسول (بسلام أهل الجاهلية) ، وقالوا : نحن إخوة قصي لأمه ، ونحن الذين أزاحوا خزاعة وبني بكر عن مكة ، ولنا قرابات وأرحام) . وكان من رجال عنزة الذين وفدوا على الرسول : (زميل بن عمرو العنزي)^٣ .

وذكر (ابن سعد) ان الرسول كتب الى (عنزة) في (عسيب) ، وبعث به مع رجل من (بني عنزة) ، فعدا عليه (ورد بن مرداس) أحد (بني سعد هذيم) ، فكسر العسيب وأسلم واستشهد مع (زيد بن حارثة) في غزوة وادي القرى أو غزوة القردة^٤ .

وكانت مواطنها عند ظهور الاسلام في منطقة مهمة جداً تقع بين الحجاز وبلاد الشام ومصر ، فتمتد من منازل (كلب) في الشمال حتى منطقة المدينة . وكانت بطونها منتشرة في (وادي القرى) وحول (تبوك) وعند (أيلة) وفي طور سيناء . ولرور طريق القوافل منها ، تولى رجالها حراستها وجباية رسوم المرور منها . ولما رأى بعض المستشرقين انها تقطن منطقة كان يسكنها (أهل

١ محمد بن حبيب ، مختلف القبائل (ص ٣٧) ، (طبعة وستنفلد) ،

Ency., IV, P. 289.

٢ Ency., IV, P. 989, Wustefeld, Genealo, I, 24.

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣١ وما بعدها) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٤) .

مديسن) وكذلك النبط ، ذهبوا الى انها من نسل (مديسن) أو من بقايا (النبط)^١ .

ومن المستشرقين من يرى ان (بني النضير) هم فرع من جُذام ، دخلوا في دين يهود ، ودليلهم على ذلك انتشار اليهودية بين بعض بطون جذام التي تقع منازلها على مقربة من (يثرب) . وكانت النصرانية قد وجدت لها سيلاً بين جذام ، وذلك باتصالها ببلاد الشام ومصر . وقد كانت مع (المستعربة) أي النصارى العرب ، تحارب المسلمين مع الروم في حروب بلاد الشام^٢ .

وفي أرض جذام موضع يقال له (السلاسل) ، وقعت غزوة عرفت بـ (ذات السلاسل) . وقد قام بها (عمرو بن العاص) ، وكان الرسول قد بعثه الى أرض (بلي) و (عنزة) يستنفر الناس الى الشام^٣ .

ومن جذام (رفاعة بن زيد الجذامي) ثم (الضبيبي) ، وكان قد قدم الى الرسول فأسلم ، وكتب الرسول له كتاباً ، وذهب الى قومه ، ونزل الحرة : حرة الرجاء^٤ . و (ضبيب) بطن من جُذام . ولما أغار (الهنيد بن عوص) ، وهو من (الضليح) ، بطن من جُذام على (دحية بن خليفة الكلبي) ، حين قدمه من بلاد الشام ، وكان رسول الله بعثه الى (قيصر) صاحب الروم ومعه تجارة له ، فأصاب كل شيء كان مع (دحية) نَقَرَ (رفاعة) وقومه ممن أسلم ، الى (الهنيد) ، فاستنقلوا ما كان في يده ، فردّوه على (دحية) . وكان المعتدون يقيمون بحسمى^٥ .

ومن (جذام) (زنباع بن روح بن سلامة بن حُدَاد بن حديدة) ، وكان عَشَّاراً ، مرّ به (عمر بن الخطاب) في الجاهلية تاجراً الى الشام ، فأساء اليه في اجتيازه وأخذ مكسه ، فقال (عمر) فيه شعراً يتوعده ويهجوّه ، فبلغ ذلك (زنباعاً) فهجز جيشاً لغزو مكة ، فنهي عن ذلك وأشير عليه بعدم تمكنه منها ، فكف عنها^٦ .

1 Ency., I, P. 1058.

2 Ency., I, P. 1058.

3 الطبري (٣٢/٣) .

4 الطبري (١٤٠/٣) ، (قدم رفاعة بن زيد الجذامي) .

5 نهاية الارب (٢٠٧/١٧) .

6 بلوغ الارب (٣٦١/١) وما بعدها ، الاستنطاق (٢٢٥) .

وكانت (أيلة) في أيام الرسول ، في ايدي (يوحنا بن رؤبة) (يحنة بن رؤبة) . ولما سمع (يوحنا) بمجيء الرسول مع جيش الى (تبوك) ، جاء اليه ، وصالحه على الجزية ، وصالحه اهل (جرباء) و (اذرح) على الجزية ايضاً . كما صالح اهل (مقنا) على ربيع كروعههم وغزولهم وحلقتهم وعلى ربيع ثمارهم ، وكانوا يهوداً .^١ وقد دَوَّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه لـ (يحنة بن رؤبة) (يحنة بن رؤبة) وأهل ايلة (لسفنههم وسيارتهم في البر والبحر ... ولن كان معهم من اهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر) .^٢

وأورد (ابن سعد) نص كتاب ارسله الرسول الى (يوحنا بن رؤبة) (يحنة ابن رؤبة) و (سرّوات) اهل ايلة : جاء فيه ان رسول الله قد ارسل اليه رسلاً هم : (شرحيل) و (ابي) و (حرملة) ، و (حريث بن زيد الطائي) . و (أن حرملة) قد شفّع له ولأهل ايلة لدى الرسول وأن عليه ان يكسو (زيداً) كسوة حسنة . وأنه قد اوصى رسله بهم . ويظهر من هذا الكتاب ، ان حامله كان (زيداً) ، وجاء فيه (وجهزوا اهل مقنا الى ارضهم) .^٣

وكتب الرسول كتاباً الى اهل (اذرح) و (جربا) ولأهل مقنا ، وذكر ان اهل مقنا ، كانوا يهوداً على ساحل البحر . وأهل جربا واذرح يهود ايضاً .^٤ اما (كلب) التي كانت ديارها تتاخم ديار جذام ، فينسبها النسابون الى (كلب بن وبرة) ، وهي من القبائل التي كانت تنزل ديار الشام عند ظهور الاسلام . غير اننا لا نعرف من تأريخها شيئاً يذكر قبل الاسلام .^٥

وتتصل بديار كلب من الشرق ارض الحيرة وديار (بني بكر) ، ومن الجنوب ديار طيء ، ومن الغرب ديار (بنو بلي) و (جذام) ، ومن الشمال (بنو هراء) و قبائل غسان .

ويرجع نسب (كلب) في عرف النسابين الى قبائل (قضاة) . ومن كلب

١ الطبري (١٠٨/٣) ، البلاذري ، فتوح (٧١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٨٩/١) ، نهاية الارب (٣٥٧/١٧) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٩/١) وما بعدها .

٥ Ency., II, P. 688.

الأسبيع : وهي بطون ثعلب وفهد ودب والسيد والسرطان وبرك . ومن قبائلها :
ثور وكلب ورفيدة وعودي وعرينة وقبائل اخرى يذكرها التسابون .^١

وينسب الى هذنه القبيلة (زهير بن جناب الكلبي) ، وهو في جملة من
يذكرهم الاخباريون من المعمرين . ويذكرون انه كان رئيساً من رؤساء هذه القبيلة ،
وأنه كان شاعراً ، وأنه كان في ايام (كليب وائل) و (المهلهل بن ربيعة) ،
ومعنى ذلك انه عاش في القرن السادس للميلاد .^٢

وقد ذكر الاخباريون اسماء رجال برزوا في الجاهلية ، ينتمون الى بطون هذه
القبيلة ، منهم (هوزة بن عمرو) ، نعتوه بـ (رب الحجاز) ،^٣ وهذا النعت
يدل على منزلة الرجل ومكانته التي كان عليها قبل الاسلام . وهو من (حردش)
وقد مدحه (النابغة الذبياني) . وقد نسب الاخباريون هوزة الى (عص) او
(عيثر بن لبيد) ، وهو في زعمهم من المعمرين في الجاهلية .^٤

وقد وفد رجل من (كلب) على الرسول اسمه (عبد عمرو بن جبلة بن
وائل بن الجلاح الكلبي) ، ومعه (عاصم) ، من (بني وقاش) من (بني
عامر) ، فأسلما . ووفد (حارثة بن قطن بن زائر بن حصن بن كعب بن عليم
الكلبي) و (حمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل بن كعب بن عليم) ، فأسلما .
وكتب الحارثة بن قطن ، كتاباً ، لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب ،
دوّن فيه أوامره لهم ونواهيهم وشروطه ان ارادوا الدخول في الاسلام .^٥

وأورد (ابن سعد) صورة كتاب ، ذكر ان الرسول كتبه (لبني جناب)
من كلب وأحلافهم ومن ظاهرهم . وقد بين فيه الامور التي يجب عليهم مراعاتها
من حقوق وأحكام . وأشهد عليه فيه : سعد بن عبادة ، وعبد الله بن انيس ،
ودحية الكلبي .^٦

١ الاشتقاق (ص ٣١٤ وما بعدها) .

Ency., IV, P. 1237.

٢ الاشتقاق (ص ٢٠٤) .

٣ الاشتقاق (٣٢٠) .

Ency., IV, P. 989.

٤ الاشتقاق (٣٢٠) .

٥ ابن سعد ، طبقات (١ / ٣٣٤ وما بعدها) .

٦ ابن سعد ، طبقات (١ / ٢٨٦) .

ولعلرة عدة بطون ، منها : بنو الجلهاء ، وبنو جلهمة ، وبنو زقرقة ، وبنو ضنة ، وبنو حردش ، وبنو حنّ ، وبنو مدلج .^١ ويظهر من ابيات للشاعر النابغة ان (النعمان بن حارث الغساني) لما هم بغزو (بني حنّ) في موضعهم بـ (برقة صادر) ، نهاه عن ذلك ، غير انه لم ينته ، فاصيب غزوه بهزيمة .^٢ وحنّ ، هم الذين قتلوا (الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد) من طيء ، في الحجر . وكان الجلاس ممن اجتمعت عليه جديلة طيء .^٣

وتبوك هي من جملة مواضع بني عُلرة ، وهي موضع (Thapaua) الذي ذكره (بطليموس) ،^٤ ولا نعرف من امرها قبل الاسلام شيئاً يذكر . وقد ذكرت في الفتوح ، اذ وصل الرسول اليها ، وصل الرسول ، وصالح اهلها على الجزية ، مما يدل على ان سكانها كانوا من اهل الكتاب .^٥

وكان غزو الرسول لها ستة تسع للهجرة ، اذ بلغه ان الروم قد جمعت جمعوا كثيرة بالشام ، وانهم قد جمعوا اليهم جمعاً من لحم وجزام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم الى البلقاء ، فأراد الرسول مباغتهم قبل ان يباغته ، فلما وصل اليها ، وجد ان الروم يعيدون عنه فرجع .^٦

ويذكر اهل الاخبار ان (بني عُلرة) نصرروا قصياً وساعدهوه ، لوجود صلة له بهم . ويظهر انه قد كان عند القدامى من (بني عُلرة) كتاب في اخبارهم كانوا يرجعون اليه اذا احتاجوا الى الوقوف على خبر يخص هذه القبيلة . فقد ذكر (ابو عمرو بن حريث العنزي) ، انه رجع الى كتاب من كتب آبائه في امر (وفد عُلرة) الذي ذهب الى الرسول .^٧

Ency., IV, P. 989

- ١ الاشتقاق (٣٢٠) ،
- ٢ الاشتقاق (٣٢٠) ، البلدان (١٤٣/٢) .
- ٣ البلدان (٧٤/٧) ، (قرى) .
- ٤ Ptolemy, Geography, VI, 7, 27.
- ٥ البلدان (٨٢٤/١) ، ابن هشام (٩٠٢) ، الطبري (١٦٩٢/١) ، غزوة تبوك ، فتوح البلدان (٥٩) ، شمال الحجاز ، تأليف الويس موسل ، ترجمة : الدكتور عبد المحسن الحسيني ، سنة ١٩٥٢ م ، (ص ١٤٠ وما بعدها) .
- ٦ نهاية الارب (٣٥٢/١٧) وما بعدها .
- ٨ (عن أبي عمرو بن حريث العنزي قال : وجدت في كتاب آبائي ، قالوا :) ، ابن سعد ، طبقات (٣٣١/١) .

وتقع ديار (غطفان) جنوب (طيء) ، وشمال (هوازن) و (خيبر) والى الغرب من بليّ وديار سعد . وهم من القبائل الكبيرة التي يرجع النسابون نسبها الى (سعد بن قيس بن مضر) . فهي من القبائل المضرية في اصطلاح أهل الأنساب . وهم قبائل : منهم : ريث وبغيض وأشجع ، ومن بغيض ذبيان ، وهو والد عيس ، وانما أجداد قبائل كبيرة^١ . وتقع ديار أشجع على مقربة من المدينة ، وأما ديار (بغيض) فتقع عند شربة والرَبْذَة ، وتجاورها (خصيفة بن قيس عيلان) ، وسلم الذين تقع ديارهم في جنوبهم .

ومن رجال (أشجع) (مسعود بن ربيعة بن نويرة بن طريف) ، وقد وفد على الرسول على رأس وفسد قوامه مئة رجل ، وادّعوا رسول الله ، ثم أسلموا^٢ .

وقد كانت بين (غطفان) وبين (بني عامر بن صعصعة) وهم بطن من هوازن حوادث وأيام . من ذلك (يوم النفرات) ، وفيه قتل خالد بن جعفر ابن كلاب العامري زهير بن جذيمة سيد عيس . وكانت هوازن تخضع لزهير . وتقدم له الإتاوة كل سنة في سوق عكاظ . فلما استبد بهم زهير ، ولم يرع لهم حرمة ، ولم ينصفهم ، تقموا عليه . وأقسم جعفر ليقتلنه ، وقد وفى بقسمه في يوم (النفرات) .^٣

وقد غزا الرسول قوماً من (غطفان) ، هم من (بني محارب) و (بني ثعلبة) ، حتى نزل نخلًا فلقني جمعاً من (غطفان) ، ولم تقع بينهم حرب ، وعرفت الغزوة بـ (غزوة ذات الرقاع)^٤ . وكانت هذه الغزوة في أول السنة الثالثة من الهجرة . وعرفت أيضاً بـ (غزوة ذي أمر) ناحية (النخيل) . وكان قد جمعهم رجل يقال له : (دعثور بن الحارث) من (بني محارب) ، وهم من الأعراب ، فلما وصل الرسول اليهم ، هربوا في رؤوس الجبال ، ثم

١ الاشتقاق (١٦٤ وما بعدها) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٣٧ وما بعدها) ،
Ency., II, P. 144.

٢ نهاية الارب (٢٢/١٨) .

٣ العقد الفريد (٣٠٤/٣) ، الاغاني (١٠/١٠) .

٤ الطبري (٥٥٥/٢) وما بعدها ح .

أسلم (دعثور) ودعى قومه الى الاسلام^١ .

وقد تجمع جمع من غطفان بالجناب ، وأرادوا مباغثة المسلمين ، فوصلت الأتباء بذلك الى الرسول ، فأرسل سرية عليهم فلت ذلك الجمع^٢ .

وقد استجابت (غطفان) لدعوة سادات (بني النضير) أمثال : (سلام ابن أبي الحقيق) ، و (حسي بن أخطب) و (كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق) ، ودعوة نفر من (بني وائل) ، فيهم (هوزة بن قيس الوائلي) و (أبو عمار الوائلي) ، ولزعماء مكة وعلى رأسهم (أبو سفيان) ، فخرجت وقائدها (عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري) في بني فزارة ، و (الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّي) في (بني مُرّة) و (مسعود (مسعر) بن رخيصة بن نويرة بن طريف بن سحمة الأشجعي) فيمن تابعه من أشجع . واستجابت لهم (بنو سليم) ، يقودهم (سفيان بن عبد شمس) وهو أبو (أبي الأعور السلمي) ، وانضمت اليهم (بنو أسد) يقودهم (طليحة بن خويلد الأسدي) ، وكونوا الأحزاب . وساروا باتجاه المدينة ، فوجدوا المسلمين وقد حضروا خندقاً حولها ، حال بينهم وبين اقتحامها ، ووقعت مناوشات ، انتهت برجوع الأحزاب . ونجح المسلمين في الدفاع عن أنفسهم^٣ .

ومن رجال (عبس) الذين وفدوا على الرسول : (ميسرة بن مسروق) و (الحارث بن ربيع) وهو الكامل ، و (قنان بن دارم) ، و (بشر بن الحارث بن عبادة) و (هيدم بن مسعدة) ، و (سباع بن زيد) ، و (أبو الحصن بن لقمان) ، و (عبد الله بن مالك) ، و (فروة بن الحصين بن فضالة) . وذكر ان رسول الله سأل نقرأ من (عبس) عن (خالد بن سنان) ، فقالوا : لا عقب له ، فقال : نبيّ ضيعه قومه ، ثم أنشأ يحدث أصحابه حديث خالد^٤ .

١ نهاية الارب (٧٧/١٧ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢٣/٣) .

٣ الطبري (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، (عزوة الخندق) ، نهاية الارب (١٦٦/١٧ وما بعدها) .

٤ طبقات ابن سعد (٢٩٥/١ وما بعدها) ، نهاية الارب (١٧/١٨) .

وقد كتب الرسول الى (بني زهير بن أقيش) كتاباً ، أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم^١ . و (بنو أقيش) هم حيّ من (عكل) . و (عكل) من (الرباب) . وهم (تيم) و (عدلي) و (عكل) و (مزينة) . وذكر ان الرسول كتب لبني أقيش في ركية بالبادية^٢ .

ومن ديار (هوازن) ، (تربة) ، وهي ناحية (العلاء) على طريق صنعاء ونجران . وتقع في (عجز هوازن) . وقد أرسل الرسول عليهم سرية بقيادة (عمر) وذلك سنة سبع للهجرة^٣ . وتقع ديار هوازن بغور تهامة الى الى بيشة والسراة وحنين وأوطاس^٤ .

وفي جنوب شرقي (حسمى) أقسام بطون (فزارة)^٥ ، وتنسب الى (فزارة بن ذبيان بن بغيض بن غيث بن غطفان) . وقد اشتركت في حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وفي معارك أخرى ، وتعاونت مع يهود خيبر ضد الرسول^٦ . ومن رجال (فزارة) (خارجة بن حصن) ، وكان فيمن وفد على النبي من وفد (بني فزارة) سنة تسع للهجرة^٧ .

ومن (بني فزارة) في أيام الرسول (عيينة بن حصن بن حليفة بن بدر) ، أغار على لقاح رسول الله وهي ترعى بالغابة ، وهي على بريد من المدينة ، فوجه رسول الله جمعاً عليه ، قتل (مسعدة بن حكمة بن مالك بن حليفة بن بدر الفزاري) و (حبيب بن عيينة) ، ثم لحقهم الرسول بـ (ذي قرد) ، فوجدهم قد مضوا^٨ . وقد نعت النبي (عيينة) بـ (الأحمق المطاع في قومه)^٩ . ومن بني فزارة الذين وفدوا الى الرسول بعد رجوعه من تبوك سنة تسع للهجرة ،

- ١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
- ٢ الاشتقاق (١١٣/١١١) .
- ٣ نهاية الأرب (٢٧٠/١٧) .
- ٤ البكري ، معجم (٨٨/١) .
- ٥ Musll, Hegaz, P. 315.
- ٦ Ency., II, P. 93.
- ٧ الطبري (١٢٢/٣) .
- ٨ البلاذري ، أنساب (٣٤٨/١) وما بعدها .
- ٩ الاشتقاق (١٧٣) .

(خارجة بن حصن) و (الحرّ بن قيس بن حصن ^١ . وذكر ان (عيينة بن حصن) كان من المؤلفة قلوبهم . شهد حنيناً والطائف . وكان أحق مطاعاً دخل على النبي بغير إذن وأساء الأدب ، فصبر النبي على جفوته وأعرابيته . وقد ارتد وآمن بطليحة ، ثم أسر ، فنّ عليه الصديق ، ثم لم يزل مظهراً للإسلام . وكان يتبعه عشرة آلاف قناة . وكان من الجرارة . واسمه حذيفة ولقبه عيينة لشتر عينه ^٢ .

ولما خرج (زيد بن حارثة) في تجارة له الى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله ، وكان دون (وادي القرى) لقيه ناس من (فزارة) من (بني بلر) ، فضربوه وأخذوا ما كان معه ، فعاد (زيد) الى المدينة وأخبر الرسول بما حدث . فأعاده مع سرية لغزورهم ، فحاصروهم ، ولكنهم كانوا قد هربوا ، فأسر منهم (فاطمة بنت ربيعة بن بلر) وابنتها (جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بلر) ، وقتل (النعمان) و (عبد الله) ابنا (مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بلر) ^٣ .

وعلى السنة الجارية بين القبائل ، تشتت شمل عشائر غطفان بسبب الحروب التي نشبت بينها من جهة ، وبينها وبين بطون خصافة من جهة أخرى . ونعني بخصافة هوازن وسليماً . وقد استمر التنافس بين عشائر غطفان وعشائر خصافة الى ظهور الإسلام ، وتميز بمجاذب الفتك والاعتيالات ، وبرز في هذا النزاع اسم (دريد بن الصمة) وهو من هوازن ، ومعاوية وصخر أخوي الخنساء وهما من سليم ^٤ .

ولما انتقل الرسول الى جوار ربه ، ارتد كثير من غطفان ، وأيد بعضهم طليحة ، ولم يرجعوا الى الإسلام إلا بعد انتصاره على المرتدين .

وكان من وجوه (بني عامر بن صعصعة) ، عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس بن مالك بن جعفر ، (أربد بن ربيعة بن مالك بن جعفر) ، وجبار بن

١ ابن سعد ، طبقات (٢٩٧/١) ، نهاية الأرب (٢٠١/١٧) وما بعدها ، (٤١/١٨) .
 ٢ تاج العروس (٤٥/٦) ، (ألف) و (عين) .
 ٣ نهاية الأرب (٢١٠/١٧) وما بعدها .
 ٤ Ency., II, P. 145.

سلمى بن مالك ، وكان هؤلاء رؤوس القوم وشياطينهم . وقد وفدوا على الرسول . ولم يسلم (عامر بن الطفيل) ، بل رجع كافراً ومات على الشرك^١ . وكان معجباً بنفسه ، جريئاً على الناس^٢ ، من الفرسان^٣ . طلب من الرسول ان يجعل الأمر له من بعده في مقابل إسلامه ، أو ان يقتسم معه الحكم على الناس مناصفة ، فيكون للرسول حكم أهل المدر ، وله حكم أهل الوبر . فلما قال له الرسول : « لا ، ولكني أجعل لك أئمة الخيل فإنك امرؤ فارس » قال : أوليست لي ؟ لأملأها خيلاً ورجالاً^٤ . ثم ولى ، فلما كان في طريقه الى منازلهم مرض ومهلك^٥ .

وكان (أبو براء عامر بن مالك بن جعفر) المعروف بـ (ملاعب الأئمة الكلابي) ، بعث الى رسول الله ان ينقل اليهم قوماً يفقهونهم ويعرضون عليهم الإسلام وشرائعه ، فبعث اليهم قوماً من أصحابه . فعرض لهم (عامر بن الطفيل) يوم بئر معونة فقتلهم أجمعين . واغتم (أبو براء) لاختفار عامر بن الطفيل ذمته في أصحاب رسول الله ، ثم توفي بعد ذلك بقليل . وكان سيد (بني عامر ابن صعصعة) في أيامه^٥ . و (بئر معونة) ، أرض بين أرض (بني عامر) و (حرة بني سليم) ، وهي الى حرة بني سليم أقرب^٦ . وقد استصرخ (عامر بن الطفيل) بجاعة من (بني سليم) و (عضية) و (رعلا) و (ذكران) فنقروا معه على المسلمين^٧ .

ولما أرسل (أبو بكر) (خالد بن الوليد) الى (بني عامر بن صعصعة) ، لم يقاتلوه ودفعوا الصدقة . وكان (قررة بن هيرة) القشيري امتنع من أداء الصدقة ، وأمد (طليحة الأسدي) ، فأخذه خالداً ، فحملة الى (أبي بكر) فحقت أبو بكر دمه^٨ .

- ١ الطبري (١٤٤/٣) ، (وفد بني عامر بن صعصعة) .
- ٢ مروج (٣٢٨/٢) ، (دار الاندلس) .
- ٣ الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) .
- ٤ نهاية الارب (٥١/١٨) وما بعدها .
- ٥ المحبر (٤٧٢) ، الطبري (٥٤٥/٣) ، (ذكر خبر بئر معونة) .
- ٦ الطبري (٥٤٦/٢) .
- ٧ نهاية الارب (١٣٠/١٧) وما بعدها .
- ٨ البلاذري ، فتوح (١٠٦) .

ومن بني (عامر بن صعصعة) ، بنو (رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) . ومنهم (عمرو بن مالك بن قيس) الذي وفد على الرسول فأسلم^١ . ومنهم (بنو البكاء) . ووفد وفد من (بني البكاء) على الرسول كان فيه (معاوية بن ثور بن عبادة بن البكاء) و (الفُجيج بن عبد الله بن جندح بن البكاء) و (عبد عمر البكائي) ، وهم الأصم^٢ .

وتقع ديار (بني عامر بن صعصعة) في الأقسام الغربية من نجد وتمتد الى الحجاز . وذكر أنهم كانوا يصيغون بالطائف لطيب هوائها ، فلما اشتدّ عود ثقيف وقوي أمرهم ، منعوهم منها ، واستقلوا بها وحدهم^٣ .

ويرجع نسب (بني سليم) الى (قيس عيلان) ، وتقع منازلها في مواطن حرار ذات ميساه ومعادن عرفت بـ (معدن سليم) . وكانوا يجاورون عشائر غطفان وهوازن وهلال . ولخيرات أرضهم ووقوعها في منطقة مهمة تهيمن على طرق التجارة ، صارت بنو سليم من القبائل الغنية . وكانت صلاحها حسنة بيهود يثرب ، كما كانت صلاحها وثيقة بقريش . وقد تحالف عدد كبير من رجالات مكة مع بني سليم ، واشتغلوا معهم في الاستفادة من المعادن والثروة في أرض سليم^٤ .

وقد قدم رجل من (بني سليم) اسمه (قيس بن نسيبة) ، على الرسول فأسلم ، ذكر انه كان على علم بلسان الروم وبهيمنة الفرس ، وبأشعار العرب ، وانه كان ذا حظ بثقافة ذلك اليوم . فلما رجع الى قومه ، وكلمهم بالإسلام ، اقتنعوا بحديثه فأسلم منهم عدد كبير ، وذهب وفد عنهم الى الرسول ، فيه (العباس بن مرداس) و (أنس بن عياض بن رعل) و (راشد بن عبد ربه) ، فأسلموا على يديه . وكان (راشد) يسدن صنماً لبني سليم . وكان اسمه (غاوي) ، وكان قد رأى ثعلبين يبولان على صنمه فشدّ عليه فكسره ، ثم جاء مع الوفد الى الرسول فأسلم ، وسمّاه الرسول (راشدا) على طريقته في تغييره

١ ابن سعد ، طبقات (٣٠٠/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٣٠٤/١) .

٣ البكري ، معجم (٧٧/١ وما بعدها) .

٤ البلدان (٢٥٠/٢) ، (٩٤/٨) .

أمثال هذه الأسماء . وأعطاه الرسول (رهاطاً) ، وفيها عين ماء .

ويذكر أهل الأخبار ، ان سيداً من سادات (بني سليم) ، اسمه (قِدْرُ ابن عمّار) ، كان قد قدم على النبي بالمدينة فأسلم ، وعاهده على ان يأتيه بألف من قومه ، فلما ذهب الى قومه ، وعاد ليأتي الى الرسول برجاله ، نزل به الموت ، فأوصى الى رهط من (بني سليم) بالذهاب الى الرسول ، هم (عباس ابن مرداس) و (جبار بن الحكيم) و (الأحنس بن يزيد) وأمر كل واحد منهم على ثلاثمائة ، ليقدموا على الرسول ، ثم جاء من بعدهم (المتع بن مالك ابن أمية) وهو على مائة رجل ، فصار عددهم ألفاً^١ .

وكتب الرسول الى (سلمة بن مالك بن أبي عامر) السلمي (من (بني حارثة) ، انه أعطاه مَدْفَوْراً لا يحاقه فيه أحد^٢ . وأعطى (العباس بن مرداس) (مَدْفَوْراً) ، لا يحاقه فيه أحد ، كتبه له العلاء بن عقبة ، وشهد عليه^٣ . ويظهر ان (سلمة بن مالك السلمي) ، الذي ذكر (ابن سعد) ان الرسول (أعطاه ما بين ذات الحناظي الى ذات الأساور)^٤ ، هو (سلمي بن مالك بن أبي عامر) المتقدم .

وكان العباس بن مرداس يهاجي (خفاف بن ندبة السلمي) أحد الشعراء المعروفين . ثم تهادى الأمر الى ان احتربا ، وكثرت القتلى بينهما ، ولما تهاديا في هجائهما ، ولم يسمعا نصيحة (الضحاك بن عبيد الله السلمي) ، وهو يومئذ صاحب أمر بني سليم ، ولجأ في السفاهة ، خلعتها بنو سليم . ثم أتاهما (دريد ابن الصمة) و (مالك بن عوف النصري) رأس هوازن ، وأصلحا بينهما . واستراح منها بنو سليم^٥ .

وأسلم (العباس بن مرداس) قبل فتح مكة وحضر مع النبي يوم الفتح في جمع من (بني سليم) بالقنا والدروع على الخيل . وله ولد اسمه جلهمة ، روى

١ ابن سعد ، طبقات (٣٠٧/١ وما بعدها) ، نهاية الارب (٢٤/١٨) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

٥ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (ص ٤٦٧ وما بعدها) .

عن النبي ^١ . ويروى ان العباس بن مرداس ، شهد حنيناً على فرسه العبيد ، فأعطاه النبي أربع قلايص ، فقال العباس : أتجعل نهي ونهب العبيد بين عينتي والأقرع ، فقال النبي : (اقطعوا عني لسانه ، فاعطوه ثمانين أوقية فضة) ^٢ . وكان فيمن اشترك مع العباس بن مرداس من قومه في فتح مكة : (أنس بن عباس بن رعل) و (راشد بن عبد ربه) ، وقد طلب العباس وقومه من الرسول ، ان يجعل لهم لواءً أحمر ، وشعاراً مقدماً ، ففعل ذلك بهم ^٣ . وكان للعباس أخ اسمه (عمرو بن مرداس) ، ويعسد مثل أخيه في جملة المؤلفات قلوبهم كذلك ^٤ .

وأعطى الرسول (هوزة بن نبيشة السلمي) من (بني عصبية) . (ما حوى الجفر كله) ^٥ . وكتب للأجب رجل من (بني سليم) (انه أعطاه فالساً) ، وكتب كتابه وشهد عليه (الأرقم) ^٦ . وأعطى الرسول (راشد بن عبد السلمي) (غلوتين بسهم . وغلوة بحجر برهاط) (لا يحاقه فيها أحد) ^٧ . كما أعطى (حرام بن عبد عوف) من (بني سليم) (إذاماً وما كان له من شواق) ^٨ . ومن (بني سليم) (نبيشة بن حبيب) ، قاتل (ربيعة بن مكرم) الكنانى . وكان فارس كنانة ^٩ .

ويذكر ان الردة لما وقعت بوفاة الرسول ، جاءت (بنو سليم) الى (أيي بكر) ، فطلبوا منه ان يمدهم بالسلاح لمقاتلة المرتدين ، فأمر لهم بسلاح ، فأقبلوا يقاتلون (أبا بكر) : فبعث أبو بكر خالد بن الوليد عليهم ، وجعلهم في حظائر ثم أضرم عليهم النيران ^{١٠} .

- ١ ابن قتيبة ، الشعر (ص ٤٦٧ وما بعدها) ، المعارف (٣٣٦) .
- ٢ الاشتقاق (١٨٨) .
- ٣ نهاية الارب (٢٤ / ١٨) .
- ٤ تاج العروس (٤٥ / ٦) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣ / ١) .
- ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣ / ١) وما بعدها .
- ٧ المصدر نفسه (٢٧٤ / ١) .
- ٨ المصدر المذكور .
- ٩ الاشتقاق (١٨٩) .
- ١٠ تاريخ خليفة بن خياط (٦٨ / ١) .

ومن ديار (بني سليم) معدن بني سليم ، وهو منزل كثير الأهل فيه اعراب بني سليم ، وماؤه من (البرك) ، وهي قرى قديمة .^١ وقد غزا الرسول على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مهاجره (قرقرة الكلد) (قرقرة الكلد) ، ناحية معدن (بني سليم) بينه وبين المدينة ثمانية بُرْد ، وذلك لما سمع ان بهذا الموضع جمعاً من (بني سليم) و (غطفان) ، فلما لم يجد احداً ، اخذ ما عثر عليه من جبال تعود اليهم ، كانت ترعى هناك ، ورجع الى المدينة .^٢ وغزا الرسول في السنة الثالثة من الهجرة موضعاً آخر من مواضع (بني سليم) اسمه : (بحران) من ناحية الفرع ، وهي قرية من ناحية المدينة ، لما بلغه ان بها جمعاً كثيراً من (بني سليم) .^٣

وكانت منازل عجز هوازن بموضع شربة .^٤ ومن رجال (هوازن) في ايام الرسول (مالك بن عوف النصري) احد بني نصر . وهو الذي جمع جموع هوازن وثقيف وأقبل عامداً الى النبي ، حتى وافاه بـ (حنين) فوعدت غزوة حنين . وقد جمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدوا من قيس عيلان الا هؤلاء وغابت عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وفي جشم (دريد بن الصمة) ، شيخ كبير ، ليس فيه شيء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب . وكان شيخاً كبيراً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم في الاحلاف : قارب بن الاسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الحمار سبيع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث في بني هلال .^٥

وبنو سليم ايضاً قبائل ، منها : بنو ذكوان ، وبنو بهثة ، وبنو سمّال ، وبنو جهز ، وبنو مطرود ، وبنو الشريد ، وبنو قنفذ ، وبنو عصية ، وبنو ظفر .^٦ وقد نجحت هذه القبائل رجالاً عرفوا في الجاهلية والاسلام ، منهم : العباس بن مرداس الشاعر الشهير ، ممن شهدوا معركة حنين مع الرسول ، ومجاشع بن مسعود

- ١ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٩) .
- ٢ نهاية الارب (٧١/١٧ وما بعدها) .
- ٣ نهاية الارب (٧٩/١٧) .
- ٤ الطبري (٢٢/٣) ، (دار المعارف) ، نهاية الارب (٣٢٣/١٧ وما بعدها) .
- ٥ الطبري (٧٠/٣ وما بعدها) .
- ٦ الاشتقاق (١٨٧ وما بعدها) .

من قواد الجيوش . وهو من المهاجرين ، والعباس بن انس الأصم من فرسان
الجاهلية ، ورجال آخرون . ولسليم شقيق في عرف النسابين اسمه (مازن) . اما
ابوهما فهو منصور .^١

و (جهينة) بطن مثل (يلي) و (بهراء) و (كلب) و (تنوخ)
من بطون (قضاة) ، كانت ديارها في نجد ، ثم هاجرت الى الحجاز ، فسكنت
على مقربة من يثرب في المنطقة التي بين البحر الأحمر ووادي القرى ، عند
ظهور الاسلام . وقد دخلت في الاسلام في حياة الرسول ولم تشرك مع من اشرك
في الردة بعد وفاته .^٢ وينسب النسابون جهينة الى صحار والد جهينة ، ومن
بطونها بنو حميس .^٣

ومن ديار (جهينة) ، موضع (بواط) ، وهو من (جبال جهينة) من
ناحية (رضوى) قريب من (ذي خشب) مما يلي طريق الشام . وبين (بواط)
والمدينة نحو اربعة برد . ويمر به طريق الى بلاد الشام . ولما سمع الرسول ، وهو
على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره ، ان قافلة لعير قريش : فيها امية بن
خلف الجمحي ومئة من رجال قريش وألف وخمسة بعير ، تمر من هناك ،
خرج في ميتين لاعتراضها ، ولكنها فرت ونجت ، فلم تقع في الأسر .^٤

وكان في جملة من وفد على الرسول من جهينة : (عبد العزى بن بدر بن
زيد بن معاوية الجهني) من (بني الربعة بن رشدان بن قيس بن قيس بن جهينة) ،
ومعه أخوه لأمه (أبو روعة) . وكان لهم واد اسمه (غوي) . ومن (بني
جهينة) (بنو دهمان) ومنهم (عمرو بن مرة الجهني) ، وكان سادن صنمهم ،
فأسلم وكسر الصنم ، وقدم المدينة ، واعلن اسلامه امام الرسول .^٥

وقد كتب الرسول كتاباً لبني زرعة وبني الربعة من جهينة ، أمنهم فيه على
انفسهم وأموالهم .^٦ كما كتب لعوسجة بن حرمة الجهني من (ذي المروة) ،

١ الاشتقاق (١٨٩) ، الصفة (١٣٢ ، ١٥٤ ، ١٧٠) .

٢ Ency., I, P. 1080.

٣ الاشتقاق (ص ٣١٩ وما بعدها) .

٤ نهاية الأرب (٤/١٧) وما بعدها) .

٥ طبقات ابن سعد (٣٣/١) وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٨/١٨) وما بعدها) .

٦ ابن سعد ، طبقات (٢٧٠/١) .

وقد (أعطاه ما بين بلكثة الى المصنعة الى الجفلات الى الجلد جبل القبلة لا يحاقه أحد) ، وشهد على صحة الكتاب وكتبه (عقبه) ^١ كما كتب الرسول كتاباً لقوم آخرين من جُهينة ، هم من (بني شنخ) ، وقد (أعطاهم ما خطوا من صفيته وما حرثوا) ، وكتب الكتاب وشهد عليه (العلاء بن عقبه) . ^٢ كما كتب الرسول كتاباً لبني الجرزمز بن ربيعة ، وهم من (جهينة) ، كتبته المغيرة . ^٣ وكتب كتاباً لـ (عمرو بن معبد الجهني) و (بني الحرفة) من جهينة وبني الجرزمز ، أهم ما جاء فيه (وما كان من الدين مدوثة لأحد من المسلمين قضى برأس المال وبطل الربا في الرهن . وأن الصدقة في الثار العشر) . ^٤ ويظهر من ذلك أن هذا الكتاب قد دُوّن بعد نزول الأمر بتحريم الربا .

وبليّ من قبائل قضاعة كذلك ، وتنسب الى بليّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وتقع ديارها على مقربة من تيباء بين ديار جهينة وديار (جُدّام) ، وهي مثل أكثر قبائل قضاعة ، لا نعرف من تأريخها في الجاهلية شيئاً يذكر . أما في أول ظهور الاسلام ، فقد اشتركت مع القبائل النصرانية في جانب الروم ضد المسلمين . ^٥ ومنهم (مالك بن رافلة) ، قاتل (زيد بن حارثة) يوم (مؤتة) . ^٦

وفي سنة ثمان من الهجرة ارسل الرسول (عمرو بن العاص) الى ارض (بليّ) و (عنبرة) ، فلما بلغ موضع (السلاسل) خاف ، فبعث الى رسول الله يستمدّه ، فأمدّه بمجاعة من المهاجرين الأولين ، فيهم (ابو عبيدة بن الجراح) و (ابو بكر) و (عمر) وقد عرفت تلك الغزوة بـ (ذات السلاسل) . ^٧ وقد دخل دين يهود فرع من بليّ ينسب الى (حشنة بن اكارمة) ، وسكن

١ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧١/١) وما بعدها .

٥ الطبري (١/١٦٠٤ ، ١٦١٠ وما بعدها) ، ابن هشام (٧٩٢) ، الاشتقاق (٣٢٢) ،

Ency., I, P. 618, Caussin de Perceval, Essai., III, 212, Blau, in ZDMG., XXII,

664, XXIII, 573.

٦ الاشتقاق (ص ٣٢٢) .

٧ الطبري (٣/٣٢) .

على مقربة من تيماء مع يهود ، وظل في هذا الدين وفي هذه الديار الى ان امر
(عمر) باجلائهم عنها في الاسلام .^١

وقد وفد نفر من (بلي) على الرسول ، وكان (شيخ الوفد) (ابو الضباب)
(ابو الضبيب) فأسلم وأسلم من كان معه ، ثم عادوا الى ديارهم .^٢

وتقع الى الجنوب من ديار (بلي) ديار (مزينة) ، وهي في الشرق من
منازل (جُهينة) والى الغرب من ديار (سعد) والى الشمال من بلاد (خزاعة) .
ويرجع نسب (مزينة) الى (مضر) . وقد وفد قوم منهم الى الرسول فيهم
(خزاعي بن عبد نهم) فبايع الرسول على قومه مزينة ، وقدم معه جماعة من
اعيان مزينة منهم : (بلال بن الحارث) و (النعمان بن مقرن) و (عبيد الله
ابن بردة) ، و (عبد الله بن درة) ، و (بشر بن المحقر) . و (خزاعي)
هو الذي حمل لواء مزينة يوم الفتح ، وكانوا يومئذ ألف رجل ، وهو أخو المغفل
ابي عبد الله بن المغفل وأخو عبد الله ذي البجادين .^٣

وأما وادي القرى ، فهو وادٍ كُثرت قراه ، لذلك قيل له وادي القرى وأهله
عرب ويهود . وهو من المواضع المعروفة بالخصب في جزيرة العرب ، وبه عيون
وآبار .. لذلك اشتهر بالعمار منذ ايام ما قبل الميلاد . فتزلت به قبائل عديدة ، منها
قوم ثمود . وقد جلب خصب هذا الوادي انظار من نزح اليه من اليهود ، فحرقوا
فيه الآبار وأساحوا العيون ، وزرعوا فيه النخيل والحبوب ، وعقدوا بينهم حلفاً
وعقدوا . ودفعوا عنه قبائل بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وغيرهم من
القبائل .^٤ وعقدوا لهم احلفاً مع القبائل القوية ، لتحميمهم ولتدافع عنهم ،
مقابل جعل سنوي .

وقد غزا الرسول بعد فراغه من خيبر هذا الوادي ، فقاتله اهله ، ففتحته

1 Ency., I, P. 618.

2 ابن سعد ، طبقات (١ / ٣٣٠) ، نهاية الأرب (١٨ / ٩٠) .

3 طبقات ابن سعد (١ / ٢٩١ وما بعدها) ، (دار صادر) ، نهاية الأرب (١٨ / ١٩
وما بعدها) .

4 البكري ، معجم (١١ / ٤٥ وما بعدها) .

عنة ، وترك الرسول النخل والارض في ايدي اليهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه اهل خيبر .^١

وكانت (فذك) حكومة مستقلة كسائر الواحات والقرى في اعالي الحجاز ، اهلها من اليهود ، وعليهم في ايام الرسول (يوشع بن نون اليهودي) ، واليه بُعث (محيصة بن مسعود) لدعوته ولدعوة قومه الى الاسلام .^٢ وبها قوم من (بني مُرّة) .^٣ وقوم من (بني سعد بن بكر) .^٤

وكان اهل خيبر من يهود كذلك . يتحكم فيهم رؤساء منهم ، ولهم حصون وآطام تحمي اموالهم ومساكنهم ، فتحت في ايام الرسول بسبب معاداة اهلها للاسلام واتفاقهم مع المشركين . وكان يظاهروهم (غطفان) . ومن حصونهم (حصن ناعم) و (حصن التموص) ، حصن (ابي الحقيق) ، و (الرطيح) و (السلام) ، وكان آخر حصون خيبر و (الشق) و (النظاة) .^٥

وكتب الرسول (بني غاديا) ، وهم قوم من يهود . وكتب كتاب رسول الله اليهم : (خالد بن سعيد) .^٦ وكتب (خالد) كتاباً آخر الى (بني عريض) وهم ايضاً قوم من يهود ، حدد لهم الرسول ما فرضه عليهم ، يؤدونه لحينه في كل عام .^٧

وكان يهود (بنو قينقاع) ، قد تحالفوا مع الأوس والخزرج ، تحالفوا مع (عبد الله بن ابي سلول) ، كما تحالفوا مع (عبادة بن الصامت) ، وكانوا صاغة ، ولهم سوق عرف بـ (سوق بني قينقاع) ، وكانوا أشجع يهود . فلما كانت وقعة (بدر) ، اظهروا ميلاً الى قريش ، فحاصروهم الرسول ، ثم غلبهم فأجلاهم عن ديارهم ولحقوا بأذرعات .^٨

- ١ البلدان (٢٧٥/٨) (وادي القرى) ، (٣٤٣/٥) (بروت ١٩٥٧) ، نارينغ الخميس (٥٨/٢) ، البلاذري ، فتوح (٤٧) .
- ٢ ابن الأثير (٩٣/٢) ، البلدان (٣٤٣/٦) وما بعدها .
- ٣ الطبري (٣٢/٣) ، (ذكر معاسم خيبر وأموالها) ، نهاية الأرب (٢٧٢/١٧) .
- ٤ نهاية الأرب (٢٠٩/١٧) .
- ٥ الطبري (٩/٣) وما بعدها .
- ٦ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
- ٧ المصدر نفسه .
- ٨ نهاية الأرب (٦٧/٦٧) ، (ذكر غزوة بني قينقاع) .

ومن منازل (بني لحيان) موضع (عُرَّان) ، وادٍ بين أمج وُعسفان الى بلد يقال له (ساية) . وهو موضع مرتفع غزاه الرسول غزوته التي عرفت بـ (غزوة بني لحيان) في سنة ست للهجرة^١ . وكان بنو لحيان ومن لافهم من غيرهم قد استجمعوا ، فلما بلغهم إقبال الرسول اليهم هربوا ، فلم يلق كيداً^٢ . واعتصموا في رؤوس الجبال ، فلم يقدر منهم على أحد . ولم تستطع السرايا ان تقبض على أحد منهم ، فرجع الرسول^٣ .

وأقام (القرطاء) ، وهم (بنو قرط) ، (قريط) من (بني كلاب) ، بناحية (ضرية) ، فبعث رسول الله عليهم (محمد بن مسلمة) ، فاستاق إبلًا وغنماً منهم ، وهرب القرطاء^٤ . وقد أرسل الرسول (أبا بكر) لغزو (بني كلاب) بنجد ، وذلك سنة سبع للهجرة ، وذكر انه غزا (بني فزارة)^٥ . وأرسل عليهم سنة تسع (الضحَّاك بن سفيان الكلابي) ، ومعه (الأصيلد بن سلمة بن قرط) ، فلقبهم (بالزج) موضع بنجد ، وتغلب على (القرط)^٦ . ولما غزا الرسول غزوة (الأبواء) ، وهي غزوة (ودان) ، وكانت أول غزوة غزاها الرسول ، وادعه (مخشي بن عمرو الضميري) ، وكان سيد (بني ضمير) (بني الضمير) في ذلك الوقت . والأبواء قرية من أعمال (الفرع) من المدينة ، بينها وبين (الجحفا) مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً^٧ .

وتقع ديار (بني مدلج) بناحية (ينبع) ، ومن أرضهم (ذو العشرة) ، وهو لبني مدلج . وقد غزاهم الرسول غزوته المعروفة بـ (ذي العشرة) على رأس ستة عشر شهراً من مهاجره ، فوادعهم ووادع حلفاءهم من (بني سمرة)^٨ .

-
- ١ الطبري (٥٩٥/٢) .
 - ٢ البلاذري ، أنساب (٣٤٨/١) .
 - ٣ نهاية الأرب (٢٠٠/١٧) وما بعدها .
 - ٤ نهاية الأرب (٢٠٠/١٧) .
 - ٥ نهاية الأرب (٢٧١/١٧) .
 - ٦ نهاية الأرب (٣٥٠/١٧) وما بعدها .
 - ٧ نهاية الأرب (٤/١٧) .
 - ٨ نهاية الأرب (٦/١٧) .

ويظهر ان هذا الموضع إنما سمي بـ (ذي العشيرة) ، نسبة الى الصنم (ذو العشيرة) ، كان له معبد في هذا المكان ، فعرف به .

ومن القبائل التي أقامت على مقربة من مكة (خزاعة) ، ومن رجالهم عند ظهور الإسلام ، (عمرو بن الحمق) الكاهن ، صحب النبي وشهد المشاهد مع (عليّ) وقتله (معاوية) بالجزيرة . وكان رأسه أول رأس نصب في الاسلام^١ . و (عمرو بن سالم الخزاعي) ، الذي جاء الى الرسول يشكو تظاهر (بنو بكر ابن عبد مناة بن كنانة) وقريش على خزاعة ، ونكث قريش عهدهم الذي قطعوه للرسول ألا يظاهروا أحداً على خزاعة ، فكان ذلك من عوامل فتح مكة^٢ .

ومن رجال خزاعة (بدليل بن ورقاء بن عبد العزّي) ، شريف كتب اليه النبي يدعوه الى الاسلام ، وكان له قدر في الجاهلية بمكة^٣ . ومن بطون خزاعة (بنو المصطلق) ، وعرفوا بـ (بلمصطلق) أيضاً ، وقد كانوا يتزلون بـ (المريسيع) ، وهو ماء لهم ، من ناحية (كُديد) الى الساحل . وقد كان قائدهم وسيدهم (الحارث بن أبي ضرار) ، أبو (جويرية) ، التي تزوجها النبي بعد ان خرج اليهم في غزوة (بني المصطلق) من سنة ست . وهم من (خزاعة)^٤ . وكان (الحارث) قد سار في قومه ومن قدر عليه من العرب ، ودعاهم الى حرب الرسول . فلما وصل الرسول الى (المريسيع) ، تفرق من كان مع الحارث من العرب . وتغلب الرسول على (بني المصطلق) وأخذ منهم أسرى وغنائم ، وكانت (جويرية) في جملة من وقع في الأسر فتزوجها الرسول . ومن بطون خزاعة (بنو الملوّح) ، وكانوا بـ (الكديد)^٥ .

وكان في جملة من يقيم بتهامة (بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة) ، ومن مياهم (الغميصاء)^٦ . ولما توفي الرسول تجمعت بتهامة جموع من مدلج ،

- ١ الاشتقاق (٢٧٩) .
- ٢ الطبري (٤٢/٣) ، الاشتقاق (٢٨٠) ، البلاذري ، أنساب (٣٥٣/١) .
- ٣ الاشتقاق (٢٨٠) .
- ٤ الطبري (٦٠٤/٢) ، (دار المعارف) ، ارشاد الساري (٣٣٦/٦) .
- ٥ الطبري (٢٧/٣ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٨٠ وما بعدها) .
- ٦ الطبري (٦٦/٣ وما بعدها) .

تأشب اليهم شذاذ من خزاعة وأفناء من كنانة ، عليهم جندب بن سلمي ، أحد (بني شنوق) ، من بني مدلج ، فحاربهم (خالد بن أسيد) وشتت شملهم ، وأفلت جندب ، ثم ندم على ما صنع^١ .

وكتب الرسول لقوم من (أهل تهامة) : يدبيل وبسر وسرّوات بني عمرو ، ذكر فيه انه لم يأثم ما لهم ، ولم يضع في جنبهم ، ثم قال لهم : (وان أكرم أهل تهامة عليّ وأقربهم رحماً مني أنتم ومن تبعكم من المطيبين) . ثم أخبرهم ان (علقمة بن علاثة) قد أسلم . وأسلم (ابنا هودّة وهاجرا وبيعا على من تبعهم من عكرمة)^٢ .

وينقل (ابن سعد) صورة كتاب كتبه (أبيّ بن كعب) وجهه (لجماع كانوا في جبل تهامة قد غضبوا المارة من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد) ، فلما ظهر رسول الله ، وقوي أمره ، وفد منهم وفد على النبي ، فكتب لهم كتاباً جاء فيه : (هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء . انهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فعبدهم حرّاً ومولاهم محمد . ومن كان منهم من قبيلة لم يرد اليها . وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه ، فهو لهم . وما كان لهم من دين في الناس رد اليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان)^٣ .

ويظهر من مضمون هذا الكتاب ، ومن بيان أهل الأخبار عن الذين كانوا قد اعتصموا في جبل تهامة ، انهم كانوا من الخارجين على الأعراف ، ومن الرقيق الآبق ، تجمعوا في هذا المكان المرتفع وتحصنوا وأخذوا يغتصبون منه المارة . وبقوا على ذلك حتى ظهر الرسول على أعدائه ، فوجدوا إذ ذاك انهم لن يتمكنوا بعد ظهور الرسول من الاستمرار في التحرش بالمارة والتحرز بهذا الجبل ، وان ظروفاً جديدة قد ظهرت ، ستؤمن لهم سبل العيش ، وان الرسول سيعفو عنهم

١ الطبري (٦٧/٣) وما بعدها .

٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٢/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٨/١) .

ويغفر لهم ما وقع منهم قبل الإسلام ، فجاؤوا اليه وأسلموا عنده . وكتب لهم كتاب أمان بذلك .

ومنازل (كنانة) بتهامة ، وهم فيها قبل الإسلام بأمدٍ طويل .

و (علقمة بن علاثة) : هو (علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب)^١ . وهو الذي نافر (عامر بن الطفيل) عند (هرم بن قطبة بن سنان)^٢ .

وأما (ابنا هوزة) فهما : العداء وعمرو ابنا خالد بن هوزة من بني عمرو ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة^٣ .

وأما (عكرمة) ، فعكرمة بن خصيفة بن قيس عيلان . وذكر ان مراد الرسول بـ (ومن تبعكم من المطيبين) ، (بنو هاشم) وبنو زهرة ، وبنو الحارث بن فهر ، وتيم بن مرة ، وأسد بن عبد العزى^٤ .

وكتب الرسول الى (العداء بن خالد بن هوزة) ، ومن تبعه من (عامر ابن عكرمة) ، انه (أعطاهم ما بين المصباعة الى الزح ولوابة) . يعنى لوابة الحرار . وكتب لهم الكتاب : خالد بن سعيد^٥ .

ومن منازل (هذيل) (الرجيع) ، وهو ماء لهم^٦ . ويقع الى الشرق من (هذيل) ديار (ضبّة) وديار (عبد مائة) ، وأما في جنوبها فتقع ديار (خثعم) وثقيف ، وتمتد ديارها في الشمال حتى تتصل بديار (بني سليم) ، ومن (هذيل) (سفيان بن خالد بن نبيح الهللي) ، وكان قد جمع جمعاً ليغزو به الرسول ، وكان قد نزل (نخلة) أو (عرنة) ، موضع بقرب عرفة ، أو قرية بوادي عرفة ، فأرسل رسول الله اليه (عبد الله بن أنيس)

- ١ ابن سعد ، طبقات (٢٧٢/١) .
- ٢ المحير (١٣٥) .
- ٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
- ٤ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
- ٥ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
- ٦ البلاذري ، أنساب (٣٧٥/١) .

فقتله^١ . ومن القبائل المجاورة لهذيل : (فهم) و (عدوان) وكانت ديارهم بالسراة^٢ .

ومن كتب اليهم الرسول ، ودَوَّان (ابن سعد) صور كتبه اليهم : (سعيد ابن سفيان الرعلي) ، وقد أعطاه الرسول (نخل السوارقية وقصرها ، لا يحاقه فيها أحد) . وكتب الكتاب وشهد عليه (خالد بن سعيد)^٣ . و (عتبة بن فرقد) ، وقد أعطاه الرسول موضع دار بمكة ، بينها مما يلي المروة^٤ .

على هذا النحو كان الوضع السياسي في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام وفي أوائل أيامه : قوى مستقلة تخشى القبائل المحيطة بها . وأذواء وأقيال في اليمن وحضرموت ورؤساء قبائل يتحكمون في مناطق نفوذ قبائلهم ، ويعيشون على ما يأخذونه من أتباعهم من حق الرئيس على المرؤوس في السلم وفي الحرب ، وهم فيما بينهم في خصام وتنافس ، لم تركهم الحصومة من الانصراف الى شؤون رعيتهم ، وهم أنفسهم لم يفكروا في الانصراف الى ذلك . فتدهورت الأحوال ، وظهر أفراد ينادون باصلاح الحال ، وبالتفكير في تحسين الأوضاع وبالتعقل . وكان الصراع بين الفرس والروم ، قد جسّر الأعراب على الدولتين . وأخذت النصرانية ترسل المبشرين الى العرب ، لنشر النصرانية بينهم . وتغلب القلم المتصل الحروف ، الذي صار قلم العرب والإسلام على القلم المنفصل الحروف . قلم العرب القديم ، القلم المسند . وانتشر في مكة ويثرب . ونادى الأحناف بنسب الوثنية والأوثان . ونزل الوحي على الرسول في أول العشر الثاني من القرن السابع للميلاد . وظهر الإسلام داعياً العرب وغيرهم الى الإيمان بآله واحد خالق لهذا الكون . وبرسالة رسوله وبما جاء به من أوامر وأحكام . فكان ظهوره نهاية للجاهلية ، وبداية لعهد جديد ، عهد الإسلام .

وبظهور الإسلام على أعدائه في جزيرة العرب ، وبقضائه على أهل الردة ، أوجد لجزيرة العرب وجهاً جديداً من وجوه الحياة ، لم تشهده في حياتها ولم

١ نهاية الأرب (١٢٨/١٧) وما بعدها .

٢ البكري ، معجم (٨٨/١) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

تعرفه . فقد أوجد الإسلام لأهلها موارد غنية من موارد الرزق ، وبسط لهم الأرض من الصين الى المحيط (الاطلانطي) وأخرج سكانها من ديارهم الفقيرة وأنزلهم في ديار غنية كثيرة السكان . وعرفوا بذلك نظماً لم تكن مألوفة عندهم ، وأما لم يسمع أكثرهم بها ، وخرج المؤمنون الأولون والمؤلفة قلوبهم ومن دخل الإسلام وقلبه غير مطمئن به ، الى خارج جزيرة العرب يحكمون باسم الإسلام . حدث كل ذلك في مدة لا تعدّ طويلة بالنسبة الى ما وقع فيها من أحداث .

فالإسلام ، إذن نهاية حياة قديمة ، وبداية حياة جديدة ، تختلف عن الحياة الأولى كل الاختلاف .